عمر لطفي النجار

الأخلاق بين الفلسفة والقرآن

مكتبة المبتدأ والخبر

دمشق . قطيفة . هاتف : ٧٥١٧٤٧ ـ ٠١٢ ، ص. ب ٥

الطبعة الأولى

١٩٩٧م

التدقيق اللغوي : الأستاذ [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

لقد قال محمد (ص)« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فهل الفضائل ناقصة قبل بعثته بالفعل - على الرغم من وجودها ؟ وإن كانت كذلك فهل النقص كائن في العدد أم في الطبيعة ؟ وما هي تلك الوسائل التي تم استخدامها فلسفياً من أجل الوصول إلى الفعل الخلقى التام ؟

إن هذا الكتاب جهد متواضع لادراك طبيعة الفعل الخلقي في كل حالاته ، عبر الفلسفة والقرآن ، بقصد الوصول إلى عقلنته ، وإلى الله قصد السبيل.

ـ علم الأخلاق :

لقد نهضت باكراً هذا الصباح، إثر كوابيس من أحلام مرعبة، فقد رأيت الجحيم وكل ما فيه من الأهوال! وما أدهشني أن ساكينه ليسوا أفراداً قط، بل دول وشعوب، يصب عليهم العذاب صباً من كل حدب وصوب. وقيل لي أن هؤلاء هم الذين صنعوا زقومهم بأيديهم. فهرعت بعدها إلى «إبن سيرين» الذي طارت شهرته إلى الآفاق والأمصار لمعرفته ذاك الذي تزوج أمه بتأويله لحلم عودة الزيت إلى الزيتون، عليَّ أجد لديه تأويلاً لرؤياي. وعند جلوسي بين يديه رويت له قصتي. وبعد أن استمع إليَّ باهتمام بالغ راح يردد عدة مرات بداية بيت من الشعر لأحمد شوقي دون أن يتجاوز «إنما الأمم» «إنما الأمم» حتى ظننت انه لا يعرف بقيته فأسرعت عندها قائلاً :

«إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا»

وهكذا فعل معي في أمور كثرة، وعندما أدركت انه يرمي إلى معرفة ما يملكه «اللاوعي» عندي أو ما يسمى «بالعقل الباطن»، قهقه وقال : أما الآن وبعد أن أصبح الوعي يصنع الإجابة ويهيمن عليها فيجب عليَّ الاكتفاء بما لدي، وإني أراه كافياً لتأويل رؤياك. واعلم يابني أن الشعب، أي شعب لن يموت إلا بافتقاره إلى الأخلاق التي

هي بمثابة «كعب آخيل »، وما الجحيم الذي يكون بعد الموت إلا في كون أفراد الدولة أشبه بدود القبر الذي يلتهم بعضه بعضاً، وتلك هي شريعة ابن الشيطان وإلا فلا سلطان له ولا عرش . وبعد أن انهى كلامه نهضت للرحيل وأنا أقول في نفسي : انها الأخلاق إذن ، ولكن كيف السبيل إلى إيجاد الفعل الخلقي ؟ وهنا خطر في ذهني تصنيف العلوم فوجدت بينها علماً تمَّ القول به حديثاً تحت اسم «علم الأخلاق» . وأصبح لزاماً عليَّ الذهاب إلى صديقي **«راوي»** بما اني لم أنس بعد سعة علمه واطلاعه، وعند لقائي به سألته عن الأمر فضحك وقال : إن ما ترمي إلى معرفته ليس يسير المنال كما تتصور ، فديكارت « يرى بأن علم الأخلاق هو أعلى العلوم مرتبة»(١) كما اشترط لمن يعمل بهذا العلم معرفة العلوم جميعاً، والرواقيون عرَّفوا الفلسفة كلها «بممارسة الفضيلة»(٢) و« **فيثاغورث**» قديماً «قد أدرك أن دراسة الرياضيات والموسيقى دراسة موضوعية انما تطهر العواطف»(٣) . والبدائي وهب الحرية والارادة لكل ظاهرات العالم حتى أصبح كل

١ ـ ص ١٧١ فلسفة ديكارت
٢ ـ ص ١٩٧ الفلسفة الرواقية
٣ ـ ص ٢٠٣ مدخل إلى علم الأخلاق

شيء ذا علاقة خلقية مع أى شيء .

فقلت : حسناً ، حسناً الآن أدركتُ تقديس الانسان للأخلاق في كل مراحل وجوده كما تقول ، ولكن ما رأيك لو حدثتني عما يستطيع علم الأخلاق أن يفعله للإنسان؟ .

فقال : لقد اختلفت مهمة هذا العلم عند أصحابه كثيراً ، حسب التلاؤم المذهبي للبنية الفلسفية عند هذا الفيلسوف أو ذاك ، فـ« **بنثام** » مثلاً يجعل منه وسيلة من أجل « **حساب اللذات** »(١) والذين رأوا « ان التفكير الاجرامي نتاج لنقص في التهذيب الخلقي »(٢) . قالوا على لسان « **ارسطو** » : انه ليس من « أجل العلم بما هي الفضيلة أن أوغلنا في هذه الأبحاث بل من أجل أن نتعلم كيف نصير فضلاء وأخياراً »(٣) أما « **شوبنهور** » فالأخلاق لديه « علم نظري ليس له أي مفعول واقعي ولا دور له سوى أن يصنف بحسب نظام تقيمي منطقي »(٤) والبعض يرونه « لا يهدف إلا إلى فهم طبيعة الظاهرة الخلقية »(٥) . أما رأي « **اسبينوزا** » فخلاصته : « إن الهدف من علم الأخلاق ليس الوعظ والارشاد ، وإنما هو الدراسة والبحث والفهم وبذلك ننقل الأخلاق

---

١ ـ ص ٢٤٨ الأخلاق النظرية .

٢ ـ ص ١٩٠ علم الاجرام

٣ ـ ل ٢ ب ٢ ف ١ علم الأخلاق إلى نيقوما فوس .

٤ ـ ص ٦٠ المذاهب الأخلاقية الكبرى ، ٥ ـ ص ٤٢ المشكلة الخلقية .

حسبما يقول ـ من مجال ما ينبغي أن يكون إلى مجال ما هو كائن ، وأكد أن مهمته كباحث في الأخلاق هو فهم الطبيعة البشرية على ما هي عليه »[1] .

وبالاجمال فإن غاية هذا العلم إما شرح ما يجب أن يكون وإما تحليل ما هو كائن، وأنا أرى أن لفظة العلم تطلق على ما هو موجود ، والموجود لدينا هو الانسان والعادات والتقاليد والفعل الخلقي بعد حدوثه .

أما ما يجب فلا يستطيع تحقيق معنى الوجود والوضعيون نبذوا «ما ينبغي أن يكون على اعتبار أن ما يجب لا أساس له من الواقع إن لم يكن من قبيل الوهم »[2] .

فقلت : ولكن أليس من الحيف على طبيعة العلم أن تكون تلك القيود موجودة ومؤثرة ! أم أن ما يجب ليس نتيجة عما هو كائن ؟ وهل قوانين الطبيعة التي نملكها عن الطبيعة لا علاقة لها بتسخير الظاهرات ؟! فإذا كانت علاقتنا مع الطبيعة لا تعرف هذا الفصل والقيد فانه لا مناص عندها من قراءة الانسان تارة أخرى لأنه على ما يبدو لي أن الخطأ في التعرف إليه هو رصيد الذين ظلموه . وما

---

١ ـ ص ١٦٦ اسبينوزا

٢ ـ ص ٥ علم الاجتماع والفلسفة

أتعسها من دروب عندما نقول بما يجب أن يكون ونحن نجهل هذا الكائن، أو عندما نعلم الكائن ولا نعلم ما يجب له، وانه لخيار سيء هذا الذي انحصر ما بين الضياع والعلم من أجل العلم.

ـ القانون والفعل الخلقي:

وعندما لاحظت أمارات الملل والضجر على وجه «**راوي**» قلت:

تعالَ يا صاحبي ما رأيك أن ندع هذا الكلام العام لننظر تحديداً في طبيعة الفعل الخلقي ووجوده ألا توافقني؟

فقال: نعم هيا بنا، بما أن ولادة هذا الفعل ذات قصة لا تخلو من المتعة، وهي قصة قديمة حديثة في مغزاها الذي لم يتغير قط. فقد اجتمع اسلافنا أو قل البدائيون كما تعلم في جماعات وزمر ليتعاونوا على حفظ بقائهم تماماً كسعينا نحن لايجاد الاتحادات بين الدول في أيامنا الحاضرة، إلا أن المجتمع الذي نجح في صراعه الخارجي إن كان مع الحيوان أو الطبيعة أو المجتمعات الأخرى تمخضت أعماقه على عدو ليس أقل خطورة من اعدائه التقليديين، فقد وَلَّدَ اللصوص والقتلة والخونة وأمثال ذلك الشيء الكثير. وقام الذين أدركو اما حدث لصياغة ما يسمى القانون للقضاء على العدو الداخلي اللئيم.

إلا أن التجربة برهنت للمشرعين انهم مازالوا بعيدين عن أهدافهم بما أن للقانون فجوات لا يمكن فصلها عن طبيعته، ومن تلك الفجوات

الكثيرة بقي المجتمع **مهدداً** ومرغماً على المسير نحو الانهيار والتحلل.

وعندما وجدته قد توقف بعض الشيء لالتقاط أنفاسه قلت بلهفة غير واعية: بالله عليك كلمني عن طبيعة القانون التي تسير بالمجتمع حتى الجحيم، ولا تبخل على بالشرح إن كان ذلك لا يؤذيك.

فقال وهو يبتسم: على الرحب والسعة، هاك كل ما أعرف، واعلم انه لا وسيلة لتنفيذ القانون إلا العقاب، أم انك تراه يكافىء المحسن إلى زوجه أو جاره مثلاً؟.

فقلت: لا، لا، بل وأكثر من ذلك لأن هناك «أعمال نافعة كثيرة لا يأمر بها القانون كالإحسان إلى الفقير، وحسن معاملة الزوج لزوجه، وهناك أعمال ضارة لا ينهى عنها القانون كالكذب والحسد»[1]. و «**أرسطو**» يقول: انه « **من المستحيل استحالة مطلقة سن قانون لبعض أشياء معينة**»[2]. وكل هذا يشير إلى انه لاعمل له إلا بالألم من خلال معادلة تقول: بأن خرقاً ما للقانون يساوي ألماً ما من العقاب.

فقال: صحيح، صحيح، ولكن ألا ترى أن الانسان قادر على الرضى بالألم من أجل لذة أكبر أم لا؟

---

١ ـ ص ١٨ كتاب الاخلاق

٢ ـ ل ٥ب ١٠ ف ٧، علم الاخلاق إلى نيقوماخوس

فقلت : بلى ، قادر على ذلك كما هو قادر على إخفاء نواياه بحرص وبراعة إن شاء ذلك «فالشر يعرف كيف يختبىء ، والناس يعرفون كيف يكتمون السر »(١) .

فقال : ألا يعني هذا أن معادلة العقاب غير صادقة؟

فقلت : نعم ، وهذا برهان على فشلها أيضاً لأننا قد نعاقب البريء ويهزأ بنا المجرم .

فقال : وليس هذا فحسب ، وما رأيك برجل يقتل ألف رجل ، فهل يتحقق العدل إذا ما قتله القانون ؟

قلت : من المحال أن يتساوى قتل رجل بقتل ألف رجل

قال : وما رأيك بأناس لم تُدْرك جرائمهم إلا بعد موتهم أو بعد موتهم بسنين أو عشرات السنين ؟ .

فقلت : من المحال أن تطالهم يد القانون قط ، بما أنهم أمسوا دون شعورهم بآلام ذنوبهم ، وليس «أبشع من أن يقترف الانسان جرماً ويذهب بدون عقاب »(٢) .

فقال : تعال الآن لنتأمل أحوال المشرع ، هذا الذي يسن القوانين ، فهل هو أعلم الناس بمجتمعه؟ .

---

١ ـ ص ١٥ منبعا الاخلاق والدين . ٢ ـ ص ٦٣ الفلسفة الاخلاقية الأفلاطونية .

قلت : إذا صح التعبير وقلنا أنه الأقوى، أو انه الممثل لطبقة ما فإننا عندئذ نكون أبعد ما يكون عن الخطأ .

فقال : هذا صحيح، وعندها يصبح القانون وسيلة من وسائل الظلم وليس وسيلة لتحقيق العدل. ولكن هب أنه أعلمهم، فهل لإنسان تلك العبقرية التي تلمح الصالح العام بشكل دائم؟ أليس هنالك الكثير من القوانين المأخوذ بها سابقاً قد أصبحنا نتقيأ من همجيتها البربرية كزواج المحارم وإباحة اللواطة على سبيل المثال؟ .

فقلت : فعلاً « قد يكون القانون صالحاً وقد يكون غير صالح »[1]، كما انه لا يستطيع أن يقوم بكل ما يجب لوجود المجتمع ولا ما يجب إلى الفرد ، وحياة الشعب دائماً أطول من أي تجربة فردية مهما يكن صاحبها متمتعاً بالذكاء والفطنة .

قال : والآن اجبني ، هل يوجد القانون بغير القائمين عليه كالشرطة والحرس ؟ .

فقلت : لا .

فقال : وإذا كان المجرم أذكى من هؤلاء فهل لهم عندها سلطان عليه؟ .

---

١ ـ ص ١٢٩ كتاب الأخلاق .

فقلت : لا ، وربما يكون واحداً منهم .

فقال : وهل يستطيعون التواجد في كل الأماكن والظروف ؟

فقلت : بالطبع لا ، فكثيراً ما تساعد الظروف على ارتكاب الجريمة كالازدحام الذي دفع « **لومبروزو** » إلى القول : «بأن كثافة السكان لها علاقة مع **ازدياد الجرائم**» (١)، وديموقريطس من ناحية أخرى يرى أن «الذى يبتعد عن اللا عدالة بقوة القانون يميل إلى فعل الخطأ سراً» (٢)، و «**ميكافيلي**» في المطارحات» يقول : « ان جميع البشر خبثاء وهم دائماً على أهبة الاستعداد لاستخدام خبث نفوسهم حين تواتيهم فرصة خاصة لذلك » (٣).

وقبل أن أتم كلامي قال وهو يتنهد : ولو قمنا الآن بايجاز ما قلناه لرأينا أن القانون عجز عن القيام بالمهمة الموكولة إليه لأنه لم يستطع التغلب على تلك الفجوات التي رافقت وجوده ، وعلى تلك الفجوات التي رافقت «الفرصة» ، وعلى تلك التي رافقت الانسان ذاته ، ولذلك وجدناه قد بقي بعيداً كل البعد عن تحقيق العدل وعن شمولية كل السلوك وعن السيطرة على إرادة الانسان .

---

١ ـ ص ١٠٠ علم الاجرام

٢ ـ ص ١٢٤ ديموقريطس ٣ ـ ص ٨ الأمير

قلت : ألا ترى معي إن هذا مجتمعاً يعني أن وجود القانون هو الموت نفسه؟ وإذا ما أردنا للدول أو الشعوب أن تعيش فمن الواجب علينا تبعاً لذلك نسف كل القوانين أو كل ما يمت إليها بصلة، أليس هذا هو الصواب؟.

فقال بعد أن احمر وجهه وانتفخت أوداجه: بالعكس ، فأنا لم اسمع طوال حياتي المديدة بأحد من العقلاء يزعم ما تزعم إلا أن يكون فاقد العقل أو مجنوناً لايفقه الضرورة بين وجود المجتمع والقانون، أو ذا أغراض خبيثة. نعم لقد أدرك الفلاسفة والحكماء عجز القانون إلا أنهم لم يعجزوا عن جعله قوياً، ففشل « القانون وعدم قدرته على اقامة ميزان العدل - مثلاً - هو الذي دفع الانسان إلى الرجوع إلى نفسه ليطلب إليها أن تمده بتلك القيم الأخلاقية»(١)، التي استطاع المشرع بواسطتها أن يطمئن إلى قوانينه سليمة من كل فجوة يمكن التعرف إليها، حتى أمسى لسان حاله لا يمل تكرار المقولة التي تقول : « ان قيمة الفضيلة انما تزيد كلما كلفتنا الكثير، دون أن تعود علينا بأي كسب مادي»(٢) . وتلك هي أصل الأخلاق وفصلها.

فقلت : ولكن هل طبيعة الانسان تسمح بهذة التضحية من أجل

١- ص ٦١ الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع. ٢- ص ١٧٩ كانت أو الفلسفة النقدية.

اللاشيء؟ أو ما هو مآل ارادة الفرد إذا علمت أن هذا يعني انفصال العقل عن العلة؟ أم أن اللاعلة ليست هي اللاشيء؟! فإذا كان المشرع يحتاج إلى القيم من أجل المجتمع، ألا يحق للأنا أن تصنع قيمها وفق ما تحتاج إليه؟ وعندها يصبح من النادر اتفاق حاجات الفرد مع ما يحتاجه المشرع تارة أخرى.

وبعد برهة من الصمت انطلق يقول: أرجو يا صديقي أن تكون مدركاً لخطورة ما تقول، كما أرجو ألا تختار المتاعب هدفاً تسعى إليه لأن الدروب التي تبدأ من هذا الخيار سوف تقذفك حتماً إلى المتاهة التي يصعب الخروج منها بسلام.

فقلت: إلا أن التعرف على طبيعة الانسان، ومن ثم على طبيعة القيم لابد منها إن اردنا الاطمئنان على سلامة ما نريده بشكل عام.

ـ الموت والأخلاق:

وعندما نهضت راغباً في الخروج قال راوي: لا تتعجل الأمور وسوف أوفر عليك عناء السفر والترحال وسأدعو لك الآن «زلنبور» وصاحب العمل الصالح» ليجتمعا معنا إن كنت مستعداً للصراع والبحث العميق، فاجلس إن شئت ولا تخشى طول الانتظار.

فقلت بعد أن عدت إلى مكاني: الحق انه لا يسعني إلا أن أشكرك

من كل أعماقي لأني كنت مستعداً لطحن السنوات الطوال دون أسف في سبيل اللقاء بهما، وانها لخدمة غراء لن أنساها لك مادمت على قيد الحياة.

وبعد أقل من نصف ساعة كان الرجلان في حضرتنا، وما إن جلس «زلنبور» حتى قال: نعم، نعم، ومن أين مبدؤكم الذى لا شك فيه؟ وانه لمبدأ حق تقترحونه خاصة إذا ما استوفى شرط الكلية والشمول والضرورة.

فقال راوي: إذا كانت كل المبادىء، في كل العلوم ناتجة عما هو مُدْرَكْ، فالأجدى أن نقول: إن الانسان هو موضوع الادراك في علم الأخلاق، ومنه يجب استنتاج أو رؤية المبادىء التي يتم عليها بناء الفعل الخلقي الذي يقع حده بين الخير والشر.

فقال زلنبور: صحيح، صحيح، «وهذا هو السبب في أن علم الأخلاق لأرسطو مازال يتسم بالحيوية والجدة في نظر أى إنسان يخوض في هذا العلم... في حين أن نظرياته في الفيزياء أو علم الأحياء أو علم الحيوان أصبح لا يُعنى بها أحد سوى علماء الآثار»[1].

فالمبادىء ذات وجود تجريبي، وقد اخطأ «**كنط**» عندما قال: «ان

---

١ ـ ص ١٦٠ مدخل إلى علم الأخلاق.

المبادىء الخلقية لا تستند إلى أساس مأخوذ من صفات الطبيعة الانسانية وإنما ينبغي لها أن توجد في ذاتها وجوداً قبلياً»(١). لأن هذه القبلية التي يزعم، يستحيل أن توجد قبل وجود اللذة والألم أو معقولات الانسان، أم أن اللذة والألم لا علاقة لها بالملذ والمؤلم ؟ أو لا علاقة لهما بصفات الانسان الطبيعية؟ .

فقال الشيخ صالح : ان «**كنط** » مخطىء وإلا فإنه يقترح ايجاد إنسان غير هذا المُدْرِكْ ولا نظنه قادراً على هذا الخَلْق، وتبارك الله أحسن الخالقين، الذي جعل الانسان في أحسن تقويم.

فقال زلنبور : أما أنا فأرى أن سلوك الانسان محدود بالبقاء والموت والعقل، وهؤلاء حتماً ذوي علاقة في كل سلوك يقوم به أمام موازين الخير والشر. فالبقاء معيار الخيروالموت معيار الشر والعقل وسيلة البقاء، ومن رفع الأسباب فقد رفع العقل.

فقال راوي : ولكن يجب ألا تحتاج المبادىء إلى البرهان لأنها يجب أن تكون صادقة بذاتها.

فقاطعه زلنبور قائلاً : أراك قد نسيت ما بدأت به، أم أنك لم تعد تعتمد علاقة الوجود والمبادىء ؟ وهل هنالك ما هو أوضح من برهان الوجود؟ واعلم ياصاحبي أن كل غاية البراهين الصادقة أن تشير إلى

١ ـ ص ٦٤ المبادىء الأساسية لميتافيزياء الأخلاق

الموجود، ونحن بدأنا منه، وهل ما يمنع ذلك؟ أم انك لا ترى ما قلناه شاملاً لكل إنسان؟.

فقلت: صحيح لاغبار على ما تقول، ولكن ما رأيكم لو تفحصنا هذه الأسس عن كثب من أجل أن نرى طبيعتها الفاعلة في صياغة الفعل الخلقي.

فقال راوي: نعم، نعم، بشرط أن لا ننسى فجوات القانون اللاعادلة، وإلا فلا علاقة للموت بالأخلاق قط. ولكن ما هو وجه اليقين في وجود الموت الشامل أيها السادة؟

فقال زلنبور: نحن نعلم أن الموت ينتظر كل كائن حي بل «هو الحقيقة الوحيدة التي لا يرقى إليها الشك»(١) ولقد قال «**ابن المعتز**» أننا «لم نر مثل الموت حقاً»(٢).

فقال راوي: ومن اين لك أو لابن المعتز هذا اليقين؟ والحكم المطلق؟ فهل أدركتما موت كل إنسان في تاريخ البشر أم سوف تدركان كل من سوف يموت في المستقبل؟ أليس من المعقول افتراض وجود إنسان في التاريخ السحيق لم يمت بعد أو سيوجد من لم يمت؟.

١ ـ ص ١٢١ مشكلة الانسان

٢ ـ ص١٢٩ ادب الدنيا والدين

فقال زلنبور : وهل لك أنت البرهان على ما تفترض؟ وإن لم يكن لك ذلك فلا أرى ضيراً من التسليم بيقين وجود الموت.

فقال راوي: لا، لا أستطيع، ولا أحب أن أكون زاعماً ولكن ما رأي الشيخ فيما يسمع؟.

فقال الشيخ : هب أن عقلنا عاجز عن برهان الشمول لعجز الاستقراء أو الإدراك فإن الله العليم قد ربط بين الموت والحق واليقين[1] كما قال: « **كل نفس ذائقة الموت**»[2].

فقال زلنبور : وهل هنالك ما هو أبشع من الموت الذي لا ينطق لسانه إلا بالفزع والجزع؟، هل هنالك ما هو أبشع من أن يمسي هذا الانسان إلى كتلة من الدود، أو ما يملك إلى الآخرين؟ ولقد ذكرتني بقول المتنبي :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

وأعدتني إلى معاني من قال:

«أموالنا لذوي الميراث نجمعها   ودورنا لخراب الدهر نبنيها»[3].

و «هيرقليطس» يقول عن البشر : ان «احدهم يعيش بموت الآخر ويموت بحياة الآخر»[4]. والغريب أن الانسان كما يقول «**باسكال**»:

---

١ ـ «المدثر ٤٧ . الحجر ٩٩ . ق ١٩ . ٢ ـ آل عمران ١٨٥ . العنكبوت ٥٧ . الزمر ٣٠ . الأنبياء ٣٤ـ٣٥

٣ ـ ص ٤٦٧ مذاهب الاسلاميين ٤ ـ ص ٣٦١ ديمو قرطيس

« يعرف انه سيفقد كل شيء بالموت»[1]، والأغرب من ذلك أن الموت والمنطق لا يجتمعان فليس لحدوثه زمن عن زمن، انه دائماً يهدد بقاءنا، وفي كل لحظة يقف لنا منجل الحصاد الذي لا يميز بين يقظة أو نوم، بين صغير أو كبير، ولو قُدِّر لنا أن نسأل الموتى لما كانت لنا إجابة من أحدهم تقول بأنه قد عاش حياته الكافية. فالانسان زائد عن الحاجة، تافه لايؤبه له مآله إلى العدم، وأغلى ما لديه هي حياته، التي يجب الحفاظ عليها بكل ما أوتي من قوة، وتلك هي مسألة القيم التي تنطلق من بداهة التسوية بين الموتى، أم انكم لا ترون تأثير ذلك كله على ما يجب أن يسلك؟

وعندما انطلقت لفظة «لكن» من فم كل من «راوي» والشيخ قلت بصوت مرتفع كمن أراد منعهما من الكلام: إن لذلك كل التأثير و«بارتلمي سانتهليير» يقول عن علاقة السلوك بالموت: أن المرء يستطيع دائماً أن يستمد من تعاليم الموت المقياس المضبوط للتعلق بحطام الدنيا»[2]، كما قال «ابن الرومي»:

«رأيت حياة المرء رهناً بموته...» و «ابكتيتوس» يقول: «فلو كان «سقراط» يرى الموت شراً لوقع الرعب منه في قلبه لكن سقراط لم

---

١ ـ ص ٧٢ خواطر.

٢ ـ ص ١٥٩ علم الأخلاق إلى نيقوماخوس.

يكن يرى الموت شراً فأقدم عليه غير مبال» (١).

فقال زلنبور: كل ما قلته صحيح، إلا أن «ابكتيتوس» مخطىء ومن ذاك الذى يخدع نفسه ليقول أن هذا الدود المدرك هو الخير وجنة النعيم إلا المغفل؟. فليس من أحد عاد من هناك

ولو كان ينطق ميت لسألته   ماذا أحس وما رأى لما قدم؟

وهاهو «أبو العتاهية» يقف أمام المقابر بحيرته وكآبته التي لا تدرك إلا ما تراه عيناه قائلاً:

«ما للمقابر لا تجيب إذا دعاهن الكئيب

حفر مسقفة عليهن الجنادل والكثيب»

وإن أصرَّ على الانتظار أملاً بالإجابة فلن يسمع في نهاية المطاف إلا صوت «**المعري**» يصرخ في وجهه قائلاً:

«لقد أسمعت لو ناديت حياً   ولكن لا حياة لمن تنادي»

والآن دعونا من الأوهام ولنعترف بأن الموت علة السلوك في اجتناب الشر لأنه هو كل الشر. وبوجود تلك العلة يكون العقل مرافقاً لأفعال الانسان، فليس من أحد يرغب في العدم، والموت لن يكون خيراً إلا عندما يكون وسيلة في يدنا، أو عندما يحدث على الآخر،

---

١ ـ ص ٥١ ـ الواجب والسعادة.

ولا خير فيه للأنا قط، بما أنه لاشيء بعده إلا الأوهام والمزاعم، وإذا عـرفنا ذلك فليس أمـامنا إلا سـبـيـلان أولاهمـا السقوط في الهم والأحزان كما فعل «كيركجارد» و «هيدجر» اللذان جعلا الوجود كله موسوماً بالهم المتحرك بالقلق الذى «موضوعه ذلك العدم»(١). حتى انهما لم يريا وكافة الوجودين في الحياة إلا غاية للموت، والقديس «أوغسطين» قام هو الآخر على طريقته يسب ويشتم قائلاً: «شقاء هي الحياة»(٢). ما أحقر الحياة واتعسها»(٣). أما «بيرون» فقد ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال: «ليس علي إلا أن أتمرد وأن ألعن: تعساً لمن اخترع الحياة التي تفضي إلى الموت!»(٤). و «شوبنهور» يقول: «الحياة سيئة وهي سوف تكون أسوأ غداً وهكذا دواليك حتى نصل إلى الأسوأ.. ألا وهو الموت»(٥). ومن هذه المعاناة يقول «المعري»:

«وألقاك فيها والدك فلا تضع   بها ولداً يلقى الشدائد والنكرا»

١ ـ ص٤٣٥ دراسات في الفلسفة المعاصرة.
٢ ـ ص ١١٤ اعترافات.
٣ ـ ص ٢٣١ نفسه. ٤ ـ ص ٢٥٩ شوبنهور. ٥ ـ ص ٢٣ مشكلة الحياة.

أما الطريق الثاني : وهو الذي أراه صحيحاً، فلسان حاله يقول : يجب أن نعيش حياتنا حتى تصطبغ بالمتعة والجمال واللذة، وإمامنا في ذلك الشاعر اللص «مرة بن محكان السعدي» حين قال :

«ألا فاسقياني قبل أغبر مظلم بعيد عن الأحباب من هو نازله
رأيت الفتى يبلى ويتلف ماله وتنكح أزواجاً سـواه حلائله
ذريني أنعم في الحياة معيشتي فآكل مالي قبل من هو آكـله»(١).

وبذلك فإن «حقيقة الموت هي التي تجيء فتذكرنا بما لحياتنا من قيمة لا متناهية» (٢)، وما «على الانسان - كما يقول بوزانكيت إلا - أن يعرف أنه يموت دائماً» (٣)، وهذا «ارسطو» يقول : «ان الشيخوخة والضعف بجميع صوره هي التي توجد البخلاء»(٤)، فكيف يكون الموت بعيداً عن صنع القيم؟ .

فقال راوي : ليس كل الناس قد وجدوا الشر في الموت وكثيراً من المفكرين قد جعلوه حدثاً مقبولاً لا رعب فيه، وعلى الرغم من اختلاف الطرق والأهداف، فقد اتفقوا على تجاوز إدراك الدود وعدل

١- ص ١٢٩ أشعار اللصوص وأخبارهم.

٢- ص ٢١٨ مشكلة الحياة.

٣- ص ١٩٣ بوزانكيت

٤- ل ٤ ب١ ف٣٤ علم الاخلاق إلى نيقوماخوس .

القبر . وصاحب التهذيب يقول : « فإنه لو لم يمت أسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود إلينا، ولو جاز أن يبقى الاسلاف لبقي من تقدمنا، ولو بقي من تقدمنا من الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الأرض»(١) وقَبِلَهُ البعض من خلال جبرية منطقية تقول : « إن الحياة أولاً وقبل كل شيء واقعة ليس علينا إلا أن نتقبلها، بدليل أننا لم نطلب الوجود، بل قد وجدنا أنفسنا أحياء على الرغم منا، ودون أن يكون لارادتنا في ذلك مدخل !»(٢) ، و «اسبينوزا» «يرى أن القول بالجبر يساعد المرء على تحمل نكبات الحياة وقبول ما فيها من شرور بلا يأس ولا تذمر ومن علم ذلك لم يكترث لشيء حتى الموت نفسه»(٣) أما «جبرييل مارسل» فقد جعل كل فظاعة الموت وأهواله ترتبط في موت الحبيب، ليس إلا، و «أبيقور» رأى «أن الموت وهم من صنع أفكارنا لأننا لن نلتقي به أبداً فطالما نحن أحياء فلا وجود له وعندما نموت فنحن غير موجودين ومن ثم لا نراه»(٤) وحتى «نيتشه» يقترح الخلود على طريقته قائلاً : «فليس ممكناً أن نترك الحياة بمعنى العبارة المطلق وإن ظن زرا توسترا انه سيموت في المستقبل القريب

١. ص ١٧٩ تهذيب الأخلاق .

٢. ص ٣١ مشكلة الحياة .

٣. ص ٤٢ تاريخ النظريات الاخلاقية . ٤. ص ١٥٩ الواجب والسعادة

فـلا بد لـه مع ذلك أن يعـود ثانيـة على نحـو أزلى في حلقـة الصيرورةوالعودة »(١) ، و «شوبنهور» لا أراه مازحاً عندما قال: « وليس من المؤكد أن الوجود خير من اللاوجود، بل لعل العكس أن يكون هو الصحيح، ولو استطعت أن تسعى إلى قبور الموتى وتقرع أبوابها سائلاً إياهم هل يريدون العودة إلى الحياة؟ إذن لرأيتهم ينفضون إليك رؤسهم رافضين» (٢) « فما في الحياة من شر كفيل بأن يبعث في نفسك الحنين إلى جنة العدم التي كنت فيها قبل هذا الوجود» (٣) . وكيف يكون الموت مرعباً إذا كان البيولوجي الألماني «وايزمان» يقول بخلود الخلايا الجنسية الذى لابد حادث؟ أما الفيلسوف الرواقي «سنيكا» فقد قال: « إذا أردت ألا تخشى الموت، فإن عليك ألا تكف لحظة عن التفكير فيه» (٤)، ولنفس الغرض ولكن بطريقة معاكسة يقول «بسكال»: «لما كان الناس لم يجدوا علاجاً للموت والشقاءوالجهل، فانهم قد وجدوا أن خير الطرق لأن ينعموا بالسعادة ألا يفكروا في هذه الأمور على الاطلاق »(٥)، و«هيدجر» «لا يرى في الموت «عرضاً» أو «حدثاً» يأتي إلينا من الخارج بل هو يرى

١ ـ ١٢٩ فلسفة نيتشه.

٢ ـ ص ٢٣٧ شوبنهاور.

٣ ـ ص ٢٣٩ نفسه.

٤ ـ ص ١٢١ مشكلة الانسان ٥ ـ ص ١١٧ نفسه.

فيه أعلى امكانية من امكانيات الموجود البشري وبذلك فانه يجعل من موته حدثاً ذاتياً لا يخرج عن دائرة حريته»(١). وهاهو «عبد الرحمن بدوي يقول: «فأنا حرية مطلقة لأنني قادر قدرة مطلقة على أن انتحر»(٢)، و «فرويد» ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال: «أول الغرائز التي ظهرت هي الغريزة التي تدفع للعودة إلى المادة الجامدة»(٣). انها غريزة الموت التي بواسطتها أصبح «الموت غاية كل حي»(٤).

والبعض استأنس الموت بجعله قمة التطور المعقول المار بالطفولة ثم الشباب ثم الكهولة نهاية بالموت «ومن ثم كما يقول «مونتين» نتعلم كيف نموت»(٥). أو كما يقول «شلر» بأنه ناتج نضج بيولوجي، أمّا الرواقيون فلم يروا في الموت نهاية الشر، بل لا ضير عندهم «أن يلجأ الانسان إلى الانتحار: يلجأ إليه الشيخ الهرم إذا أضناه الألم، والوزير إذا خاف العار، والسياسي إذا اقترب من الفضيحة»(٦). و «هيجزياس» الذي لقبوه بمستشار الموت كثيراً ما كان مستمعيه «ينتحرون حال انصرافهم عن سماع محاضراته»(٧)، و «شوبنهور»

---

١ ـ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ دراسات في الفلسفة المعاصرة ، ٢ ـ ص ١٢ الموت والعبقرية .

٣ ـ ٤ ـ ص ٧١ ما فوق مبدأ اللذة ، ٤ ـ ص ٧١ نفسه

٥ ـ ص ١٧٦ مدخل الى علم الاخلاق .

٦ ـ ص ١٩ تاريخ النظريات الاخلاقيه . ٧ ـ ص ١٣٦ خواطر .

يرى أن كل «انتحار إنما يصدر عن العقل »[١]»

وما إن انتهى «راوي» من كلامه حتى راح «زلنبور» يضحك ملء شدقيه دون توقف ثم قال: وأي من هذه الدروب تريدنا أن نسلك؟ أليس ما قلته من الفضائح التي يندى لها جبين العقل تحتاج منك إلى الأخذ بواحدة من نصائح «هيجزياس» الحكيمة؟ فقد آن الآوان لموت الخرافة والشعوذة، واعلم أن كل ما ذكرته من تلك السبل لم يكن لولا وجود اليأس والقنوط الذي دفعهم إلى تلك الأكاذيب ليصنعوا منها سفينة لنجاتهم كما يزعمون، ولكن ثق بأنهم لا يخدعون سوى أنفسهم، وإلا فما الذى يعنيه عند العقل قولهم بجبرية الموت، أو خلود العدم، أو غريزة الموت، أو التفكير في الموت أو عدمه مثلاً.

ونصيحتي لكم أن تتركوا تلك الهواجس لتنطلقوا في نقاء وصفاء وحرية لأن العروس دائماً في انتظاركم، ومن الخطأ أن تسمى «الدنيا» لأنها اسمى قيمة يمكن التعرف عليها.

فقال الشيخ: والله يازلنبور لا أراك إلا عدواً لكل انسان عندما استخدمت الحقيقة ذلولاً للوصول إلى اللاحقيقة، وأعلم أن الانسان لم يكن صدفة وعبثاً وفي ذلك يقول عز وجل: « **أفحسبتم انما**

١ ـ ص ٢٠٢ شوبنهور.

خلقانكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون»(١)، « **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا**» (٢) ولاكذلك صدفة وجد الموت لقوله تعالى : « **نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين**»(٣)، فالله « **هو الذي يحيي ويميت**»(٤)، « **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون**» (٥)، « **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور** »(٦)، « **وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**» (٧)، وعليه فان الموت عاجز عن التسوية بين ، الظالم والمظلوم حين يهمين على كل منهما « **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم؟ ساء ما يحكمون** » (٨)، « **ايحسب الانسان أن يترك سدى**» (٩)، لا ، وألف لا ، فالكل مسؤولون « **والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون**» (١٠)، « **انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**»(١١)، وبذلك يعود الانسان ليرى بصمات يديه تشهد على أعماله (١٢)، واعلم أن واقعة الموت ليست مرعبة ونذير شؤم

---

١ ـ المؤمنون ١١٥ ـ ٢ ـ ص ٢٧ ، ٣ ـ الواقعة ٦٠ ، ٤ ـ غافر ٦٨ ، الشورى ٩ المؤمنون ٨٠ ، الأعراف ١٥٨ ، التوبة ١١٦ ، النحل ٧٠ ، ، ق ٤٣ ، الحجر ٢٣ ، الدخان ٨ ، الحديد ٢ ، يونس ٥٦ ، ١٠٤ ، سبأ ٥ ـ السجدة ١١ ، النساء ٩٧ ، محمد ٢٧ ، الأنعام ٦١ ، ٩٣ ، الاعراف ٣٧ ، ٦ ـ الملك ٢ ، ٧ـ الذاريات ٥٦ ، ٨ ـ الجاثية ٢١ ، ٢٨، ن ٣٥ ـ ٣٦ ، ٩ـ القيامة ٣٦، ـ ١٠ المائدة ٣٦ ، هود ٧ ، الاعراف ٥٧، ١١ ـ يس ١٢ ، الحج٦ ، البقرة ٢٨ ، ٧٣ ، ١٢ ـ القيامة ٣ ـ ٤

إلا على الذين ظلموا أو ظلموا أنفسهم، فسوف **لا** يهنأ هؤلاء بما اجترحت ايديهم حتى عند احتضارهم، سيضربون ويهانون من الملائكة الموكلين بقبض أرواحهم(١) ليحملوا في النهاية إلى الجحيم وبئس القرار و « **انه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى** »(٢) « **من ورائه جنهم ويسقى من ماء صديد، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ** »(٣)، وبوحي ذلك كله «قال العلاء بن المسيَّب: ليس قبل الموت شيء إلا والموت أشد منه، وليس بعد الموت شيء إلا والموت أيسر منه»(٤)، وبذلك يكون الموت بذاته قد انتقل عن تحريك الارادة لما نحب ونكره إلى ما يريده الله لنا من الأعمال الصالحة التي لا حياة للمجتمع دونها.

فقال زلنبور: وما هو الضمان على صدق ما يزعم نبيكم إذا كان كل ما بعد الموت لا يمكن ادراكه؟

فقال الشيخ: ألا يكفي أن القرآن يهدي للتي هي أقوم؟ وإذا ماثبت لنا ذلك بحكم العقل فيجب علينا حيئذ الاقرار بأن ذلك لن يكون إلا من لدن عليم خبير، أم سوف تكابر قائلاً بأن ايجاد الفعل

١ ـ الانعام ٩٣ ـ ٩٤، الاعراف ٣٧، الانفال ٥١، محمد ٢٧, ٢ ـ طه ٧٤، ٣ ـ ابراهيم ١٦ ـ ١٧

٤ ـ ص ١٢٣ أدب الدنيا والدين.

الخلقي لا علاقة له بمعرفة الانسان وما يحتاج إلية ؟ وأعلم اني معكم ومع ما انطلقت منه يازلنبور في ضرورة التحام الفعل الخلقي والعقل ، وهو الشرط الذي يجب أن تتمسكوا به ، وأرجو ألا يسوقنا البحث في السبل الأخرى إلى إنفصام تلك الضرورة أو إلى الخيار اللامعقول ما بين العقل و الفعل الخلقي .

الأخلاق والغرائز :

فقال زلنبور : ولك هذا المعيار يا صاحبي ، وتعال الآن لنبحث عنه علَّه يفصل بيننا سريعاً . والآن قل لي : ما رأيك في العلاقة الكائنة بين الانسان والغرائز ؟ .

فقال الشيخ : ان ما هو مغروز في الانسان تابع لبنية عضوية ليس إلا ، ولو جذرنا الغرائز جميعاً لما حصلنا إلا على غريزة البقاء ، وحسب تعبير «العوا» «فإن الغرائز جميعاً بمثابة أحوال نوعية من غريزة رئيسية واحدة وحيدة ، هي غريزة حفظ البقاء»[1] التي يتجلى وجودها في غائية الأفعال اللاإرادية ، وكثيراً ما تتوقف حياة الانسان على تلقائية تلك الأفعال .

فقال زلنبور وعيناه تتراقصان فرحاً : أكون كاذباً لو سولت نفسي

١ـ ص ١٥٢ القيمة الأخلاقية .

الطموح إلى أكثر من ذلك، **فقد نطقت حقاً**، وعلينا أن نحافظ في مسيرتنا على هذه الاستقامة. والآن اجبني إذا ما كان العقل ذو علاقة بتلك الغريزة أم لا؟.

فقال الشيخ: إن الانسان كل متكامل من خلال الفعل، فليس هنالك وجود لتلك الحدود المزعومة.

فقال زلنبور: وما هو العقل عندها إن لم يكن وسيلتنا في البقاء؟ وما الذي يعنيه «برجسون» عندما قال: «انه ملكه يستخدمها الانسان في التخلص من صعوبات الحياة، إن هذا العقل - كما يقول - سوف يمضي إلى الحلول الأنانية المباشرة»(1). فلسانه «يفصح بالأنانية»(2). وهي ميزانه الصحيح، و «الفرد أدلر» سماه «وسيلة أمان أو أداة طمأنينة»(3). فالوظيفة الأولى للعقل كما يقول «جون ديوي»: «انه يقينا شر المخاطر»(4). و«اسبينوزا» أدرك ما لعلاقة «القوةالفعالة» على حد تعبيره أو «البقاء» بالأخلاق، بل انه جعل من ارادة البقاء«ماهية الانسان ذاته»(5)، كما انه في القضية ٢٢ يقول: انه من المحال «أن نتصور فضيلة أسبق من محاولة الانسان حفظ وجوده»(6)، فالبقاء معيار الخير ومصدر القيم، ولا معيار صحيح

---

١ ـ ١٠١ منبعا الاخلاق والدين ٢ ـ ٢ ـ ص ٢٢٦ نفسه.

٣ ـ ص ٢٣ مشكلة الانسان . ٤ ـ ص ٢٣ نفسه . ٥ ـ ص ٢٠٨ اسبينوزا ٦ ـ ص ٢١١ نفسه .

سواه يتلاءم مع العقل أو مع كل الانسان على حد تعبير شيخنا.

فقال راوي: ولكن «كنط» فصل ما بين العقل والغرائز عندما قال: «ان حفظ البقاء يمكن أن يُنجز أفضل وينفذ بشكل أمثل إذا ما اتخذنا الغريزة ونكبنا عن طريق العقل والتوينا عنه»[1].

فقال زلنبور: ومن أجل ذلك جاءت أخلاقه لا علاقة لها بالموت ولا بالحياة، لأنه أرادها لانسان لم يوجد بعد، لذا يجب نعتها بأخلاق ما قبل الانسان! ولم يكن له ذلك إلا لفساد رأيه في فصل العقل عن الحواس أو المجرد عن المحسوس وعلى كلٍ فلننظر في حقيقة الأمر لديه، يقول: ها هو انسان «ولنسأله . . . إذا كان الحاكم بأمره، مهدداً إياه بالإعدام الفوري، بأن يدلي بشهادة زور ضد إنسان مستقيم شريف، الذي قد يرغب الأمير في هلاكه لسبب يستصوبه، فهل يستطيع أن يتغلب على حب الحياة، مهما تبلغ به العظمة الاخلاقية»[2]. ولنسأل الآن «كنط»: أليس هذا مثل ممتاز على جدارة البقاء في هيمنته على وجود القيم أو سلوكها على الأقل؟ أليس البقاء هو الذي يحدد حسبما يقول أى القيم هي

---

١ . ص ٣٣ المبادىء الأساسية لميتافيزياء الاخلاق .

٢ . ص ٦١ - ٦٢ نقد العقل العملي .

التي يجب أن تكون، وما هو العقل إن لم يكن اليد الطولى للغريزة، أو إن لم ينقل المغروز بالعضوية إلى علاقة بالعالم الخارجي؟ وأنا لا أرى أن اللذة ذات وجود دون الملذ أم انكم تريدون لافعالي أن تأتي بلا علة ولا مرجح إلا سعادة الآخرين وبقائهم، وما أتعس البلهاء عندما تصبح كلمة الاخلاق كافية لأن تكون ثمناً لوجودهم، وانها لأعظم مكيدة وخديعة عندما يساس الناس بتلك الأكاذيب الحقيرة، وهل يمكن تصديق «عادل العوا» عندما أراد ايجاد «غريزة اللا ثمن» التي سماها غريزة «بذل الذات مجاناً» أو غريزة الفاعلية بدون غائية»(١)؟، وهل هي عندها إلا غريزة الموت عند «فرويد»؟! .

وعندما بقي الجميع مستغرقون في حيرتهم وتأملاتهم تابع قائلاً: وإن كنتم في شك مما أقول فاسمحوا لي أن استعرض معكم العلاقة ما بين الشعور والخير والشر فربما تنجلي الأمور بشكل أوضح.

---

١ ـ ملحق الصفحة ٧١ القيمة الاخلاقية.

فقال راوي : تفضل ، **تفضل فكلنا آذان صاغية .**

فقال زلنبور : إن شمولية اللذة والألم تستطيع بل بامكانها أن تقول انه ما من كائن حي إلا وتميز بهذا الشعور ابتداء من النبات نهاية بالحيوان ، وكما أن الحجر يسقط إلى الأسفل والنار تتجه نحو الأعلى كذلك هو الانسان ، فانه يهتف نحو اللذة ويهرب من الألم وهذا القانون أو المعادلة لم تتغير قط خلال تاريخه المديد . وكل اخلاق لا تأخذ بهذه الحقيقة فمآلها إلى البوار والخذلان لأنها على الأقل ستنكر علينا الوجود نفسه ، وإلا فكيف نتعرف إلى وجودنا إن لم ندرك تأثير الظاهرات على الشعور؟ .

فقال راوي : إلا أن اللذة ليست تلك الفاتنة التي تستطيع بسحرها الافلات من موازين الحكماء والفلاسفة ، فجميعهم شتموها بلا حياء ولا أسف ، فهي عند «أفلاطون» الخصم لكل حكمة وهي مطلب القطيع والعوام والجهلة ، خليلة الكذب وزميلة الفجور ونجيبة الليل ، إنها «من أشنع مظاهر الخزى فإننا نخجل نحن باللذات ونحتجب مختبئين ما أمكننا التستر والتخفي مانحين الليل مثل هذه الملذات برمتها اعتباراً منا أن نور النهار لا ينبغي له أن يعاينها»[١]

١ ـ ٣١٢ الفيلفس .

فالملذات دواب و «**السوقة يثقون بهذه الدواب ثقة العرافين بالطير ليحكموا أن الملذات في غاية الاقتدار لجعل حياتنا صالحة سعيدة**»(١).

و «ارسطو» هو الآخر يجعل اللذة من، نصيب «الطبائع العامية الغليظة»(٢)، «وان أكثر الناس على ما يظهر هم على الحقيقة عبيد يختارون بمحض ذوقهم عيشة البهائم»(٣)، و «تلك مدعاة للأسف»(٤)، «والعامي لا يحكم إلا بالأشياء الخارجية لكونه لا يفهم إلا إياها»(٥)، و «خطأه يأتي على العموم من اللذة التي تظهر له انها الخير»(٦)، وكل العوام يقول رأيهم: «ان طيب العيشة وحسن الفعل مرادف لكون الانسان سعيداً»(٧).

فقال زلنبور: وهل بعد سحر اللذة هذا سحر؟ أليست هي التي سفهت العقول الراجحة التي ذكرت، فجعلتها تولول بالشتائم كالأطفال، وهل بذلك يكون الوصول إلى حياض الحق؟ أم انه من الحق تقسيم الناس إلى عوام وخواص، عبيد ومُلاَّك؟ ألم نتفق بأن الفعل الخلقي يجب أن يشمل الناس؟ لقد عجز «ارسطوا» عن ايجاد

---

١ ـ ص ٣١٦ نفسه ٢ ـ ل١ب٢ ف١٠ علم الاخلاق إلى نيقو ماخوس

٣ ـ ل١ ب٢ ف١١ ٤ ـ ل٩ب٨ ف ٤.

٥ ـ ل١٠ب٩ ف٣ ٦ ـ ل٢ ب٥ ف٥

٧ ـ ل١ ب٢ ف٢.

تلك الشمولية حتى قال ما قال وهذا كل الأمر، أليس هو المعبّر عن عجزه وحيرته عندما قال: « **أسائل نفسي أي الخطب وأى الأدلة يمكن أن تصلح هذه الطبائع الجافيه ليس من الممكن** »(١)، ونحن لسنا ملزمين بالحذو وراء ما عجز عنه، ولا حيرته حجة علينا. أما بالنسبة للظن بأن اللذة هي الخير.

فقاطعه راوي عندها وقال: ليس ما ذكرناه هو نهاية الأدلة على فساد اعتماد اللذة فأفلاطون مثلاً برهن « انه لا وجود لها مطلقاً»(٢)، و«الكلبيون» طاردوها اينما حلت «**فاطرحوا الشهوات وأوصوا بمحاربتها والتخلص منها**»(٣) و« سنيكا» «أراد إعدام وجودها بهربه من الدنيا، لأنها مثيرة للشهوات»(٤)،و«الفارابي» يرى في «التبيين» ان اجتماع اللذة والأخلاق محال، فعلى رأيه أن «الانسان بقدر ما يتهيأ له من قدرة على صراع اللذات.. بقدر ما يتمكن من التحلي بالأخلاق الحميدة»(٥) والتصوف المرافق لكل الأديان، وبكافة أشكاله وأصنافه يسعى إلى تحقيق هذه المعادلة التي هي لب الفكر الصوفي، وهل بعد ذلك أعظم شهادة على فساد اللذة ؟.

---

١ ـ ل١٠ ب١٠ ف ٥، ٢ ـ ص ٢٧٨ الفليفس

٣ ـ ص ١٨ تاريخ النظريات الأخلاقية

٤ ـ ص٢٣٥ الفلسفة الرواقية.

٥ ـ ص ٢٧٦ الواجب ـ السعادة.

فقال زلنبور : ولكن هل بعد الحياة برهان أسطع من وجود اللذة ، ولقد قال «الابيقوريون» : **«اللذة خير هذا شيء نحسه كما نحس أن النار تسخن ولا يمكن أن يبرهن عليه»**[1]، و «ارسطو» هذا الحائر ينعتها بالبينة التي لا تحتاج إلى تبرير لأنها **«تملك من قوة الاقناع وسحر البيان ما يعجز عن الرد عليه»**[2]،أو مقامته، وكيف **«لا نكون البتة ـ كما يقول قضاة ـ لا يرتشون»**[3]، وأخيراً فإني اتحدى القائلين بضرورة التخلي أو التخلص من اللذة بأن هذا لن يكون لهم مادام لهم نفس في هذه الحياة وإن أرادوا البرهان على الحقيقة فالموت لهم ولا برهان بعده على ما يزعمون.

فقال راوي : دعك من ذلك ، ولنتأمل في طبيعة اللذة لنرى إن كانت جديرة بالاخلاص أم غير جديرة فأفلاطون يقول : **«فالاتراح تمازج الأفراح في المراثي والمآسي»**[4]، و **«ان الآلام والملذات تهجع معاً»**[5]، و «شوبنهور» يرى أن كل لذة تتذبذب بين حالتين : حالة الألم قبل أن تدرك ، وحالة الملال بعد إن تشبع ، كلتا الحالتين عذاب»

---

١ ـ ص ٧٤ الفلسفة الرواقية .

٢ ـ ص ١٢٤ المشكلة الخلقية

٣ ـ ل٢ ب٩ ف٦ علم الاخلاق إلى نيقو ماخوس .

٤ ـ ص ٢٧٠ الفليفس

٥ ص ٢٧٤ نفسه .

فكيف يكون من هذه احواله أساساً في تكوين بنية الفعل الخلقي؟ وعبثاً حاول الفلاسفة إيجاد استقامات خلقية تامة بها وها هو «شوبنهور» يقول " «**الألم لا اللذة هو وحده الظاهرة الايجابية**»[١]، ففيه الخير حسبما يزعم، أما «ايدوكس» فكان يقول : «**الألم هو في ذاته ما يتجنبه كل الكائنات وبالنتيجة يجب أن يكون نقيض الألم مطلوباً بقدر ما الألم مكروه**»[٢]. و«أرسطو» يقول أيضاً : أن «**الألم شر يلزم اجتنابه**»[٣]، ومن خلال تلك الدوامات المجهولة تم ربط اللذةوالألم بالخير والشر حتى قال «القورينائيون» : «**ان الشر في الآلام مهما حسنت غاياتها والخير في اللذات كيفما كانت** »[٤]،بل ان «ابيقور» يقول : «**ان الكائن يمضي إلى حيث تدعوه لذته**»[٥]،و «ارسطيفون القورينائي» «**يدعو إلى الاستمتاع بكل لذة يتيسر للإنسان الظفر بها دون أن يمسك عن واحدة في سبيل أكبر منها**»[٦]،و «اريستيب» نادى و«**باللذة المحضة أساساً للعمل الاخلاقي**»[٧]، وهل

---

١ ـ ص ١٢٨ المشكلة الخلقية ،

٢ ـ ل١٠ ب ٢ ف٢

٣ ـ ل٧ ب١٢ ف١

٤ ـ ص ٩ تاريخ النظريات الاخلاقية .

٥ ـ ص ٣٠١ مشكلة الحياة

٦ ـ ص٢٤٢ الاخلاق النظرية

٧ ـ ص١٥٦ الواجب والسعادة .

بالفعل أن الألم هو الشر واللذة هي الخير ؟ أليس الأجدى لنا أن نتجاوزهما دون أسف؟ خاصة أن «ابن سينا» قال : «**لا يتوهم العاقل أن كل لذة كلذة الحمار**»[1]، و«افلاطون» خيرنا ما بين اللذة أو الحكمة و«**من يختار حياة العقل والحكمة مفروض عليه أن لا يتمتع أية متعة لا كبيرة ولا صغيرة**»[2]، وعندما تساءل : «**هل اللذة تمت إلى الحقيقة بصلة قرابة أمتن أو العقل ؟**»[3]، قال : «**إن العقل أفضل من بعيد وأوفر جودة وأحسن من اللذة بكثير لحياة البشر**»[4]. بما أن الحقيقة ثابتة وطبيعتها تعارض كل ما تتصف به اللذة التي أعظم ميزة لها اتسامها بالظن . و «**اللذة تتولد فينا مراراً لا على أثر ظن صائب بل كاذب**»[5]، والملذات الكاذبة «تحاكي الصادقة»[6]، «**أليس المصابون بالحمى وبأمراض مماثلة هم الذين يشعرون أعظم شعور بالعطش والقشعريرة**»[7] و «**مداواة الجرب بالحكاك ، ماذا يولد فينا يا ترى أشعور لذة أم ألم ؟**» [8]«طبعاً ألم»[9]. وهل بغير ذلك تكون اللذة الكاذبة؟

١ـ ص ٣٢١ الفلسفة الافلاطونية الاخلاقية .
٢ـ ص ٢٢٤ الفليفس .
٣ـ ص ٣١٠ نفسه .
٤ـ ص ٣١٥ نفسه .
٥ـ ص ٢٣٨ نفسه .
٦ـ ص ٢٤٥ نفسه
٧ـ ص ٢٥٩ نفسه ٨ـ ص ٢٥٩ نفسه . ، ٩ـ ص ٢٥٩ نفسه .

إن خطر اللذة عظيم وكثيراً ما تأتي فلسفتها «**فتحجب عن أعين الناس العديد من القيم الأخرى التي تحفل بها الحياة : كالمعرفة ، والتذوق والفن، وما إلى ذلك**»(١). وتبعاً لذلك فإنها والخير لا يجتمعان بما أن لكل منهما طبيعة تخصه، اننا نستطيع أن نجعل من اللذة بصيغة عامة «**غاية في ذاتها**» أو «**خيراً أقصى**» (٢)، إنها «**ليست الخير الأعلى وليست غاية**»(٣)، مادامت «**غير مكتفية بذاتها بعكس الخير**» (٤)، فالقيم الروحية أعظم ، و«من أراد أن يدرك النفس والعقل والانية الاولى - كما يقول افلوطين - فينبغي أن ينكمش إلى ذاته ويهجر عالم الحس ويغيب عنه بقدر امكانه ويرفض الحواس ويستعمل القوى الباطنة فحينئذ يبصر من داخل ابصاراً حقيقياً بنظر قوي نوراً مضيئاً ويمتد نظره الباطن أضعاف ما كان يمتد بصره الظاهر **ويرى السموات والأرض وما فيها** » (٥). فاللذات الصافية التي تأتينا عن تأمل الوجود والأشكال واستنشاق الروائح لا تأتي بعد ألم ولا يعقبها ألم واللذات «**التي تسببها لنا ممارسة العلوم ليست البتة مصحوبة بآلام**»(٦)، وهل يحق لمن يسمى عاقلاً أن يختار لذات البدن

١ - ص ٣٣٣ مشكلة الحياة ، ٢ - ص ١٢٥ المشكلة الخلقية ،

٣ - ل٧ ب١١ ف٦ علم الاخلاق إلى نيقوماخوس ، ٤ - ص ١٩٠ الفليفس

٥ - ص ١٧٩ الفلسفة الاخلاقية الأفلاطونية ، ٦ - ل ١٠ ب٢ ف١٢

على اللذة الصافية الخالصة؟

فقال زلنبور: حسناً، حسناً، وسوف أزيل عن عينيك كل غشاوة دفعتك إلى سوء الرأي على الرغم من طول حديثك المرعب. واعلم ان هنالك تمييز ما بين قولنا بالشعور وقولنا باللذة والألم لأن الشعور هو متصل اللذة والألم، وهذا المتصل لم ينفصل إلى لذة وألم إلا لتأثير الأشياء عليه، فلا وجود لألم بذاته ولا إلى لذة بذاتها، فالألم ينتج عن المؤلم، واللذة تنتج عن المُلِذ أما الحالة المحايدة فلا تعني إلا مساواة معيارية الإدراك بتأثير فعل الظاهرات، والشعور بالاجمال هو كل تلك الحالات، ولو أدرك «شوبنهور» هذا المتصل لما نفى اللذة عن أي دور إيجابي في البقاء، ولما صارعها «افلاطون» واضرابه بحجة علاقتها بالألم، والانسان الذي «تكون حياته أدنى إلى حياة الله من أية حياة أخرى» [١] لم يوجد إلا في ذهن صاحبه، انه من أوهام «أفلاطون» التي لا تصلح أن تكون بديلاً عن هذا الكائن الحي، فالبقاء هو الخير المطلق وليس الألم بعيداً عن ايجاد هذا الخير وخدمته، فقيمة الألم تستمد وتوزن بمعيار البقاء وليس بأي معيار سواه، وهذا ما يقوم به العقل. أم سوف تنهانا عن تناول الدواء المر وإجراء

١ ـ ص ٢٢٤ الفليفس.

العمليات الجراحية وبعدها تزعم بأنك تملك العقل الراجح؟ . فالألم إن صح التعبير هو ناقوس البقاء لا شراً بذاته، وما صراخه إلا إشارة إلى وجود الشر، إلى وجود المؤلم، فليس هنالك صوتاً اجرأ من صوته، ولا وفياً كوفائه، فعلى أنفه المؤثرات واعظمها ينادي، ويمسك بتلابيب العقل، ليقضي على علة وجوده بأسرع ما يمكن، فليس مثله من يضحي بنفسه من أجل غيره، إلا أن الجميع يكرهونه، يكرنون حارس الحياة الذي لا يُعرف وفاؤه بزمن دون زمن أو مكان دون مكان، فهو في كل زمان ومكان لديه الاستعداد لازعاج العقل ومنازلته، ولو علمت اليمامة انه لا طيران لها إذا ما تخلصت من مقاومة الهواء لما تمنّت الراحة قط، ولقد قال الرواقيون: «ايها الألم لست شراً البته»(١)، وماذا تكون عليه أحوالنا لو كان الخلل المتمثل بالكسور والجروح والامراض والعطب وإلى ما هنالك يحدث دون علم منا؟ وماذا لو كان لنا لذة عند التهام النار لأجسادنا؟ أقول: انه لولا الألم لما كان لنا علم بالطب ولانقرض الانسان منذ زمن طويل إلا أنه استمر وسوف يستمر في بقائه بما أن عقله أقوى من الفك والجناح والغلاصم والجماد، واللذة التي يزعمون وجودها المطلق لا

---

١ ـ ص ١٦١ ـ ١٦٢ علم الاخلاق إلى نيقوماخوس.

وجـود لها في العلم ولا في سـواه فليس هنالك لذة بذاتهـا هي الخير كله، ولقد قال «شوبنهور» وقوله حق : بأنها «ليست سوى خدعة من الطبـيعـة لتـجـعلنا نقـوم بما نريد واغـرائنا بالبـقـاء والحـرص عليـه و «ارسطو» الذي تردد عند شـفـيـر الحـقـيـقـة يرى أن «كل الكائنات والحيوانات تطلب اللذة»(١). و «إذا كان كل الناس ـ كما يقول ـ يحبون اللذة فذلك لأنهم جميعاً يحبون الحياة»(٢)، وهل بعد البقاء حياة؟ فإن كـانت اللذة تؤذيه فـالخـير في زوالهـا وإن كـان الألـم ضـرورياً لـه فله عندها كل القيـمـة، وتلك هي قـاعدة القيم وعلاقـتـهـا بالانسـان، و «نيتشة» رأى أن الانسان قد استخدم الألم وسيلة من أجل الأخلاق عندمـا قـال : «عـقـوبة التـعـذيب على الدولاب وعـذاب الخـازوق. بفضل مـثل هذه المشاهد ومثل هذه المآسي جرى التوصل أخيراً إلى تثـبيت خـمس أو «ست» لا أريد في الذاكـرة»(٣)، أما إن كنتَ ماتزال تحتضن شبـهة الفصل ما بين العقل والشعور التي ناقشناها عندما تحدثنا عن الغـريزة فاعـلم انه لا معـقـول تملكه إلا وذو علاقـة بالشعـور من قـريب أو بعـيـد، وإياك أن تظن أن الإنسـان أجـزاء ودوائر كـالدوائر

---

١ ـ ل٧ ب١٢ ف٦ علم الاخلاق إلى نيقو ماخوس

٢ ـ ل١٠ ب٤ ف٦ علم الأخلاق إلى نيقوماخوس.

٣ ـ ص ٥٨ أصل الاخلاق وفصلها.

التي سجنوا بها **إدراك المحسوس** عن إدراك الكليات المجردة لأن العقل هو كل الانسان، والمزيفون هم الذين رفضوا الحواس والشعور، وها هو «ارسطو» على طريقته يشهد بأن اللذة «تساعد على زيادة العقل»[1] . و «هيوم» على طريقته هو الآخر «يرى أن العقل لا أثر له في سلوك الانسان وانما الأثر كله لمشاعر اللذة والألم اللذين بهما يميز الخير من الشر»[2]. وأخيراً فإني أرى انه قد تحققت لدينا حتى الآن الصلة بين الموت والبقاء والعقل بأبهى صورة من الوضوح والجلاء، إلا أن ما أجهله هو رأي شيخنا الذى آثر الصمت واتمنى لو قال شيئاً فيما سمع.

فقال الشيخ: الحقيقة اني لم اسمع منكم إلا ما هو حسن وأتمنى أن نصل إلى كل الحقيقة، والقول بالأسباب من طبيعة العقل وقد عمم الله وجودها لتشمل الفعل الخلقي وسواه حينما قال: «**فليرتقوا في الأسباب**»[3] وليس هذا فحسب بل إن المنفعة والعلة لا يفترقان، والعاقل من عرف ما يضره مما ينفعه وبدونها يصعب اتصال اللذة بالألم تجت غاية البقاء، فاللامنفعة والعقل لا يمكن اجتماعهما[4] «**قل اندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا**»[5]،ومن الظلم ألا يسعى

---

١ ـ ل١٠ ب٥ ف٢ علم الاخلاق إلى نيقوماخوس.

٢ ـ ص ٤٢ تاريخ النظريات الاخلاقية. ٣ ـ ص ١٠ ، ٤ ـ الانبياء ٦٦ ـ ٦٧ ، ٥ ـ الانعام ٧١

الانسان إلى نفعه ، وحتى فيما يجب أن يؤمن به ستكون المنفعة بحكم الله هي المرجح والميزان [1]، والضال التعيس من هرع إلى ضره دون نفعه [2]، وقد وجه عز وجل اللوم لأولئك الذين يعبدون الاصنام لأنها عاجزة عن النفع أو الضرر [3] وابراهيم الخليل «**إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً**» [4]، والشعائر عندنا مقرونة بها ـ أعني المنفعة ـ والحج على سبيل المثال «**ليشهدوا منافع لهم**» [5]، **ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب، لكم فيها منافع إلى أجل مسمى**» [6]، والحياة الدنيا زينة إلا أنها متاع الغرور، والبقاء مقرر، ومن حق الانسان الحفاظ عليه «**فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**» [7]، وعلينا ألا ننسى التمييز بين النافع والأنفع من أجل أن يستطيع العقل التسلل إلى ثنايا السلوك.

وقبل أن يتم الشيخ كلامه قال زلنبور : ليس بنا حاجة إلى التعقيد الذى لا مبرر له، بما أن الأقوم الذي أراه هو الذي يجمع المنفعة والأنفع في البقاء أو الخير الأقصى، ويكفينا منك يا شيخنا أن

---

١ ـ يونس ١٠٦

٢ ـ الحج ١٢ ـ ١٣

٣ «الفرقان ٣ ـ و ٥٥ ـ الشعراء ٧٢ ـ ٧٣، يونس ١٨ ، طه ٨٩، الرعد ١٦ ، المائدة ٨٦».

٤ ـ مريم ٤٢ ، ٥ ـ الحج ٢٨

٦ ـ الحج ٣٢ ـ ٣٣، ٧ ـ البقرة ١٧٣ .

شهدت للبقاء بالاحترام والتبجيل، وعليه فيجب أن نقذف كل رأي بعدها عن الخير والشر إلى الزوال والهباء.

فقال راوي: ولكن ليس ما قلته هو الرأي الذي لا رأي بعده، وربما نجد الأصوب في حوزة الآخرين، وما نتمناه أن يكون صدرك رحباً يتسع لكل اطمئنان نبحث عنه، ولا بأس إذا ما كانت الأرض صلبة تحت أقدامنا، أم انك لا تستطيع رؤية العلاقة ما بين الارادة والخير والشر؟.

فقال زلنبور: حسناً تقترح، ولو صبرت عليّ بعض الشيء لوجدتني عائداً إلى ما تريد، ولنستمع في البدء إلى الشيخ إن كان له رأى فيما يسمع.

ـ الأخلاق والارادة:

فقال الشيخ: وهل يتم الحساب على السلوك بغير وجود الارادة الحرة؟ وقد قلنا ذلك من قبل عند تجاوز الموت وعندما قرنت الشر بالوجود، أم سوف تهرب من تفاهة الانسان التي قررتها بين الدود والعدم؟.

فقال زلنبور: بالعكس، إن الانسان ليس تافهاً قط، وكيف يكون كذلك من كان مصدراً للقيم، إن الحجر بحد ذاته ـ مثلاً ـ لا قيمة له، أما عندما يصبح رأس زاوية في بناء فالأمر عندها مختلف، فالارادة

تبعاً لذلك هي واهبة القيم، ولا أظن احداً يستطيع القول ان ظاهرات العالم ليست حيادية عن المعنى الخلقي، بلى، انها حيادية، فالبركان لا يمكن أن ينعت بالشر ولو قتل أطفال العالم جميعاً، حتى أن فعله هذا لا يساوى ولو طلقة واحدة من الرصاص على حيوان أعجم من إرادة عابثه، وعلى ارادتنا تسخير كل الأشياء والهيمنة عليها، أو تحويلها عن الحياد إلى كونها وسيلة في يدنا.

فقال راوي: إلا أن اللاتنظيم من سمة العالم، وعلى هذا رآه البعض شريراً ومصدراً للشر.

فقال زلنبور: وليست هذه الأقوال إلا للكسالى الذين يحلمون بايجاد كل شيء جاهزاً لما يرغبون فيه، يريدون أن يعطينا البحر أسماكه جاهزة معلبة، انهم يقترحون عالماً أفضل وأكمل وكأنهم أدركوا شرعية المقارنة، أو كأنهم ادركوا المقترح في وجوده، ولو علم هؤلاء انه ليس لنا معقول إلا عن علاقة بهذا العالم لما تجرأوا بالسير وراء هذا الهذيان الذي لا معنى له. ولو قدر لنا على الأقل رؤية غيره كوجود لكان من حقنا أن ننعته بالكون والفساد الذي يعني الشر.

فقال راوي: وهل بقي أمامنا إلا ربط كل ماهو مؤلم بالشر؟ وهاهو «بوذا» قد وجد الألم في كل شيء فقال: «وهذه ايها الكهنة،

هي حقيقة الألم: الولادة مؤلمة، الشيخوخة مؤلمة، المرض مؤلم، الحزن والنحيب واليأس مؤلمة كلها، الاحتكاك بالأشياء الملذة مؤلم، عدم الحصول على ما يريده الانسان مؤلم»[1].

وعندما وجد أن الخير في الارادة قذف بنفسه إلى الموت وهو يقول: «إن يوماً سيأتي، وهذا أمر محتوم، أنفصل فيه عن العالم. ولكن أي فضل لي في الانفصال القسري؟ من الأفضل أن انفصل من تلقاء نفسي»[2]، أم أن الارادة لا تهب القيمة إلا للأشياء دون صاحبها؟ وما نفعها إن لم تستطع التغلب على الموت في نهاية المطاف؟ وهل لا قيمة للانسان؟.

وبعد صمت طويل قال زلنبور: أنا لم أقل أن المؤلم هو الشر، فقد يكون خيراً إذا قذفنا به أعداءنا، والمهم أن يكون كل ما هو سوانا وسيلة في يدنا، وعندها يكون المؤلم والملذ سيان في منفعتنا، أما عن علاقة الارادة وقيمة الانسان فإني اعترف بأن الانسان مقهور بالموت، والمهم عندي ألا يحدث دون مقاومة ولكن لا بأس إذا ما كان احدنا يملك وسائل الاتيان به لأن الشر قد يوجد في ارادة الآخرين بما أن اللذيذ محدود بـ«معك» أو «معهم» والانسان الحر أو صاحب الارادة

١ ـ ص ٣٥٦ الفكر الفلسفي الهندي.

٢ ـ ص ٥١ ـ ٥٢ حياة بوذا.

الحرة هو الذي يسعى **لبقائه رغم كل ارادة أخرى**، حتى مع الطبيعة فان الحرية ليست «سوى تلك الروح التي تنبثق في الانسان حينما يصل إلى التحرر من قيودها»(١).

فقال راوي: أراك قد قفزت إلى الحرية مباشرة، وها أنت قررتها دون أن تدعو أحداً للمشاركة فيما تزعم، أم أنك تخشى المعايير الضابطة التي يفر منها الفعل الخلقي؟.

فقال زلنبور: لا، وما هي تلك المعايير؟

فقال راوي: في البدء يجب أن تجيبني عن الحرية المطلقة.

فقال زلنبور: الحرية المطلقة لا وجود لها، فإننا في عالم كل ما فيه يخضع للعلة، ومن السخف أن يختار الانسان عدم التنفس أو أن يختار دون مرجح، فذلك لن يكون إلا للمجانين الذين تمثلهم «سيمون دي بوفوار» عندما تقول: «افعل ما ينبغي لك وليكن ما يكون»(٢)، أو «سارتر» الذي يرى أنه يجب «على الانسان أن يختار، دون أن يكون لديه أي مبدأ للاختيار، بل دون أن يكون لديه أي معيار يستطيع بمقتضاه أن يتحقق مما إذا كان قد أحسن أو أساء الاختيار»(٣).

١ـ ص ٢٢٦ مشكلة الحرية.

٢ـ ص ٤٢ الاخلاق والدين.

٣ـ ص ١٩٧ مشكلة الحرية.

وهل من الحرية أن يتجول **الحمار في كل الحقول؟!** فالحرية المطلقة غير معقولة فهي تنفي المرجح و العلة، كما تنفي ربط السلوك بمعيارية الخير والشر، وما نفعها عندئذ بالنسبة للفعل الخلقي ؟ وها هو «كنط» الذي حرص على الحرية التي يجب أن تتسامى على صاحبها نراه يقول بخشوع وورع : « ان الحرية فكرة مجردة « مفهوم مثالي ، انها تقوم من حيث هي فرض عقلي ضروري» [1]، فحسب ، وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان الحرية هي وليدة الاعتقاد بالحرية وليست من أجل السلوك الذي يجب أن يسمح لنا بتمييز الأفعال الارادية الواعية عن اللاارادية أو الاضطرارية . ولا أظنني مخطئاً عندما أقول ان الارادة هي المرجح نفسه لأنها لم تكن في كل احوالها «نزوعاً ما نحو شيء من الأشياء بدون تفكير أ وشعور وإنما هي نزوع معين قائم على وجهة نظر كثيراً ما تكون مدعمة بالحجة فهو أولاً مسبوق بالتأمل والنظر ثم هو ثانياً متجه إلى غاية من الغايات» [2]. و«الجرجاني» قال في تعريفاته بأن الارادة «ميل ورغبة وشوق يحدث للانسان نحو الفعل عندما يعتقد نفعه» [3] ، و«المعتزلة» يقولون : «الارادة ميل

١ ـ ص ١٦١ المبادىء الاساسية لميتافيزياء الاخلاق .

٢ ـ ص ٦٢ العقيدة والاخلاق .

٣ ـ ص ٨٩ المعتزلة ومشكلة الحرية .

النفس إلى الفعل ومن ثم فهي تقتضي الدواعي إليها فمتى قويت دواعي الانسان إلى شيء أراده لا محالة كما أنه إذا صرفته الصوارف عن شيء لم يرده ربما كرهه»[1] ، بل وجعلوا الحرية تتمثل في «التردد بين الدواعي والصوارف وحيث يكون الترجيح يكون الذم »[2]. ومن الخطأ الظن بأن الارادة قوة أو ملكة»[3]، قائمة بذاتها تقبع داخل الانسان «كالبخار أو الكهرباء»[4] . تملك مرجحها دونما أية علاقة مع العالم الخارجي لأن المشيئة لم تكن قط هي الارادة ما دمنا لم نكن ألهة ولن نكون. فالحرية التي أقول بها إذن ذات تاريخ ، وإرادتنا سوف تكون حرة عندما ننسف جبرية العالم بواسطة المعرفة واستخدام القانون، وهذا يعني أيضاً انه لا نهاية لها في المستقبل بما أن حدودها كل العالم وما فيه، وسوف تكون حرة أيضاً إذا ما كانت هي الأقوى وإذا ما كانت هي التي تفرض الخيار أمام الارادات الأخرى، والحرية دائماً وأبداً على الند من القهر ولا أعداء لها غيره.

فقال راوى : ولكن أليس ربط الحرية بعامودي البقاء والتسخير إهانة للانسان الذي يجب تمييزه عن الحيوان؟

١ - ص ١٧٢ الفلسفة الاخلاقية العقليون - الذوقيون .

٢ - ص١٧٣ نفسه .

٣ - ص١٧ الارادة . ٤ - ص٥٣ كتاب الاخلاق.

فقال زلنبور وهو يضحك هازئاً: وكيف لك هذا الاستنتاج الذي يشير إلى الفصاحة والفطنة؟.

فقال راوي: أليست كل الحيوانات كما وجدناها تملك غريزة البقاء؟ ثم أردف قائلاً: ولو تأملنا في سلوكها على الحقيقة لما وجدنا لها إرادة إلا من طبيعتها، وليس من حيوان يدرك قيمة له يمكنها أن تتجاوز وجوده لأن وجوده كله هو طبيعته، ومن كان مجبراً على ذلك فلا نسب له مع الحرية الحقة لأنه ليس إلا الانسان وحده يستطيع توسيع دائرة خياراته لتشمل نفسه ذاتها وليس كلُّ الناس جديرين بالحرية، وكثرّهمُ الذين تساوت لديهم الطبيعة والارادة حتى اصبحتا سيان، إلا أن الحيوان معذور بذلك في تبرير مجزرة الصراع بين الأنواع وخروجها عن معاني الخير والشر، أما الانسان، فأي انسان عندها إن كان كذلك؟!.

فقال زلنبور وهو يقلب كفيه على بعضهما: وهل يعقل ايجاد انسان يختار العدم على الحياة؟ ومن أجل ماذا يكون ذلك؟ أم انكم تتآمرون لاغتيالي على الطريقة الخلقية التي تغرر بضحاياها عندما تجعل منهم وسيلة من أجل بقاء الآخرين؟ واعلموا اني لن أُخدع بكم بما أن الحقيقة تردد مذ وجد الانسان انه لن يموت أحد عن أحد قط وما

الحياة إلا مرة لن تتكرر ومن المحال مساواة البقاء عندي ببقاء الآخرين.

فقال الشيخ: هون عليك يارجل، فليس من أحد يريد بك السوء، وثق بأنه ليس من أحد يختار العدم إلا إذا كان الأنفع وراءه ولقد قال عز وجل: «**ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون**»(١) وتلك الدار يجب أن تكوّن نزوعنا ووازعنا في سلوك العمل الصالح وإلا فلا مرجح ولا عقل «**وان الدار الآخرة لهي الحيوان**»(٢)، الذي نصل بواسطته إلى قيمة الانسان المطلقة، أم انك لا تعلم ان «ارسطو» هو القائل: «انه لا كائن غير الانسان يعمل بالارادة»(٣)؟.

فقال زلنبور بعد أن احتقن وجهه بالغيظ: وما شأنك انت إلى الحديث في مقام الحرية إذا كانت ارادة الله الذي تؤمن به لا تسمح بأية حرية للانسان على الاطلاق «أليست نسبة حرية الارادة إلى الانسان تحديداً لقدرة الله»؟!(٤).. أم انك لا تقول بحرية يتمتع بها الله؟ وأنا أعرف «ان القائلين بالجبر يتصورون وجود علة كونية شاملة هي التي

١ ـ يوسف ١٠٩.
٢ ـ العنكبوت ٦٤.
٣ ـ ل٣ ب٢ ف١٠.
٤ ـ ص١٤٣ مشكلة الحرية.

تحقق إرادتها الخاصة، **بغض النظر عن ارادة الانسان** ومشيئته» [1] .

فقال الشيخ : بالعكس، فلو لم أعرف الله لما كنت حراً قط، ولما تحررت ارادتي من أضيق الحدود التي قلت بها، واعلم أن الجبرية التي تقول والمقارنة بين الحريتين ليست صحيحة بإطلاق إلا عندما نؤمن بوجود الله على سبيل الافتراض ودون أي علم بما يريده منا، والقرآن من حيث كونه أوثق كتاب ينتسب إلى الله لا يقول لنا بغاية الهية تسحق إرادة الانسان، أما أن نتبرع بهذا الافتراض، فليس من حقنا إلا إذا اعتمدنا الظن منهجاً أو اللاعلم علماً، ولو تأملنا جيداً في جوهر الرسالة التي كانت لنا عن محمد «ص» لما وجدناها تبغي غير ايجاد العمل الصالح بين الناس لتكون به حياتهم جميعاً، وانها لحرية ما بعدها حرية أن يجعل الله من ارادته أو ما يريده موضوعاً أمام إرادة مخلوقاته لتأخذ بها أو ترفضها « **وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » [2]. «**إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا**» [3] . « **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى** » [4]. كما نهى عز وجل نبيه عن استعمال القهر أو التفكير فيه قائلاً : « **أفأنت**

---

١ ـ ص ٥١ ـ ٥٢ نفسه .

٢ ـ الكهف ٢٩ .

٣ ـ الدهر ٣ .

٤ ـ البقرة ٢٥٦ .

تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(١). «**ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**»(٢)، كما حدد له المهمة صراحة حين قال : «**فذكر إنما انت مذكر لست عليهم بمسيطر**»(٣)، «**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**»(٤)، وليس كذلك فحسب بل إن الله يدحض المحتجين بالقضاء والقدر أولئك الذين تجاوزوا المعلوم «انفقوا» بالمجهول الذي هو القدر قائلاً : «**وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن انتم إلا في ضلال مبين**»(٥)، وكيف يكون لهم ذلك «**إذا كان الانسان لا يعرف الارادة الالهية سلفاً؟**»(٦). وهل «موسى عليه السلام لم يؤمن بالقضاء والقدر الذي يكف ارادة المخلوق حتى قال مخاطباً ربه : «**ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون**»(٧)؟. وعندما احتج المشركون على شركهم بالجبرية كذبهم الله لأنه لا علم لهم بإرادته التي يحتجون بها قائلاً : «**سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا أباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك**

١ - يونس ٩٩.

٢ - النساء ٨٠

٣ - الغاشية ٢١ - ٢٢

٤ - النور ٥٤

٥ - يس ٤٧.

٦ - ص ي ز دستور الاخلاق في القرآن . ٧ - الشعراء ١٤ .

كـذب الذين من قـبلهم حـتى ذاقـوا بأسنا قل هـل عندكـم من عـلم فـتخـرجـوه لنا إن تتبعـون إلا الظن وإن انتم إلا تخـرصـون، قـل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين»[١] . حتى ان عقيدة الأجل المحدود التي أخبرنا الله بها لم تكن إلا لغاية خلقية وصحة نفسية أو من أجل تحرير ارادة الانسان بشكل مطلق نحو السلوك الأفضل حتى لا تتقوقع على زمن دون زمن وسبحان ربي القائل: « **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور** »[٢] . وتحت هذا المعنى يمكن ادارج قوله عز وجل: «**قل لن يصينا إلا ما كتب الله لنا**»[٣] . واعلم ان المشيئة غير الأمر والأمر هو المعلوم «**وربك يخلق ما يشاء ويختار**»[٤] «**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**»[٥] وخيارنا يجب أن يكون بما هو معلوم عما هو مجهول، والذين ارادوا الاحتجاج بالمشيئة لجب الارادة يطمحون بشكل غير مباشر إلى جعل كل مشيئة الله وعلمه وإرادته

١ ـ الانعام ١٤٨ ـ ١٤٩ .

٢ ـ الحديد ٢٢ ـ ٢٣ .

٣ ـ التوبة ٥١ يونس ٤٩ .

٤ ـ القصص ٦٨ , ٥ ـ السجدة ١٣

معلومة أمام حرية الانسان وارادته وهذا طمع في محال. إن الله قادر على ارغام مخلوقاته لو شاء «**كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء**»(١). إلا أن الطبع والختم والاضلال والهداية لم يكن إلا لعلمه عز وجل غير المحدود بالقبل والبعد أو الأين أي بمجمل ما عقده الانسان من سلوك في حياته كلها ولذلك قال: «**إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم. وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم**»(٢)،كما يقول: «**يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعلمون**»(٣). ولاحظ كيف ان الضلال والهداية لم ينفيا حساب الانسان على ما تصرفت ارادته ويداه. أما فيما نحن فيه، وبعلاقتنا بالسلوك الحاضر فقد قال تعالى: «**ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**»(٤)، هذا حتماً لا يعني إرغاماً لارادة الله كما أن قوله: «**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين**»(٥). لا يعني إرغاماً لارادة الانسان بما انه ليس كل ما نشاء ونقترح هو كائن بالفعل.

والحرية عندي في نهاية المطاف هي مساواة الآخر بالأنا حتى في

---

١ ـ المدثر ٣١، ٢ ـ البقرة ٦ ـ ٧.

٣ ـ النحل ٩٣ ٤ ـ الرعد ١١.

٥ ـ التكوير ٢٩، الدهر آخر آية.

البقاء أو بتجاوز الأنا نفسها وذلك عن طريق العقل المتميز بالأنفع الذي غايته الأنا نفسها تلك التي ستكون بعد الموت. أما في علاقة الارادة بالطبيعة فإني أوافقك بأن حريتها هي في تسخير الظاهرات لأنها مسخرة من قبل الخالق نفسه من أجل خليفته في الأرض. أما في علاقتها بإرادة الله فإن الانسان حر بما أن القضاء والقدر غير معلوم له ومن غير المعقول أن يكون ما نجهل على الاطلاق موضوعاً أمام خيارنا.

فقال راوي: والحق أنك اختصرت ما نعنيه بالمعايير وأنا معك أيها الشيخ فيما قلت لأن الأخلاق فيما قلت قد تمتد حتى تطلب منا النفس والأموال، ومن غير المعقول أن يحدث ذلك كله بلا علة ولا مرجح، كما أنكر أيضاً أن يكون البقاء هو المرجح وكل العلة لأننا عندئذ لا مناص لنا من القضاء على القانون أو المجتمع بما أن لكل انسان عندها قانونه الذي يرتئيه بقاؤُه، وبذلك نصبح مخيرين حقيقة ما بين الاخلاق واللاأخلاق أو ما بين القيمة واللاقيمة.

طبيعة القيم الأخلاقية

ـ فقال زلنبور: اني لا أحب الآن نقاشكم وتعالوا لننظر في تكوين القيم وايجادها واني أظن أن النتيجة التي سنصل إليها سوف تكون ابلغ من كل رد متهور وسريع، واجبني ياراوي في البدء عما يجب أن نعنيه بلفظة القيمة؟

فقال راوي: الوضعيون وخاصة المناطقة قالوا: «ان العبارات الأخلاقية لا تقرر شيئاً، ولا تشير إلى أي شيء، فلا سبيل إذن إلى تقديم أي برهان اثبات أو برهان نفي على صحتها أو كذبها»[1]، يستوي في ذلك «فتجنشتين» و«كارناب» و«آير». وأنا أرى انه يجب من أجل ربط القيم بالحكم: نعت كل فعل يستطيع ترميم القانون بالقيمة، وبذلك يتم شمول الحكم على ما تم سلوكه أو عما يجب أن يُسْلَكْ.

فقال زلنبور: أي أن القيم ليست سوى حيلاً نقذف بها هذا التصرف أو ذاك حسبما يروق لنا، فهذا «كريم» وذاك «بخيل» وهكذا. ولكن تعال لنقذف الحيل أو المعايير الخادعة جانباً ولنجعل معيار صدق القيم هو صاحبها نفسه فهي أقرب شيء له ولنقل عندها ان كل سلوك يمكنه أن يحافظ على البقاء فهو قيمة بما انه مامن

١ ـ ص ٢٩٣ دراسات في الفلسفة المعاصرة.

انسان يجهل ما ينقصه . بينما فكرة القانون تفرض علينا اعفاء من يجهل بعضه أو جله من سلوك بعض الفضائل أو جلها .

وبعد أن صمت «راوي» طويلاً قال الشيخ : بالفعل إن القانون يعجز أن يجعل من العلم به عبادة يؤجر عليها الانسان إلا من خلال الدين الذي يجتمع فيه القانون بالأخلاق على حد سواء بل وفي اجتماعهما بمصدر واحد، ولقد قال عليه السلام(ص) : « كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالثة فتهلك» .

فقال زلنبور بعد أن تجاهل قول الشيخ : وما رأيك ياراوي باتصال القيم بالعقل؟

فقال راوي : بما أننا نقول انها وليدة الحاجة فإن العقل هو المسؤول عن ايجادها مادام هو وسيلتنا في البقاء، أليس هذا ما تريد الوصول إليه؟ .

فقال زلنبور : نعم ، نعم .

فقال راوي : وليس نحن الذين نقول بذلك فقط، وها هو «ابن مسكويه» يقول : «الفضائل الخلقية إنما وضعت من أجل المعاملات والمعاشرات التي لا يتم الوجود الانساني إلا بها وذلك للعدل انما احتيج إليه لتصحيح المعاملات وليزول به معنى الجور الذي هو رذيلة

عن المتعاملين. وإنما وضعت العفة فضيلة لأجل اللذات الرديئة التي تحيي الخيانات العظيمة على النفس والبدن. وكذلك الشجاعة وضعت فضيلة من أجل الأمور الهائلة التي يجب أن يقدم الانسان عليها في بعض الأوقات ولا يهرب منها وعلى هذا جميع الأخلاق المُرضية» (١)، والدكتور «العوا» يردد وراء «برهية» بأن القيمة ليست إلا «تلبية حاجة» (٢).

وقبل أن ينهي كلامه قال زلنبور: «القيمة صناعة انسانية مخلوقة من قبل الانسان» (٣). «وقداكتسيب الناس معرفتهم لفضيلة الشجاعة والشرف والاعتدال والصدق والاخلاص والحب لأن هذه الخلال كان لابد منها لبقائهم» (٤). أما «نيتشه» فقد رأى ان القيم «ابتدعها الوجود الانساني ولكنه نسي انها كذلك» (٥). وما التمييز أو «التضارب بين «الطاهر» و «النجس» إلا من أجل التمييز بين الطوائف أو الطبقات» (٦). أما الضعفاء فقد «استأجروا الفضيلة استئجاراً» (٧)، وكل حزب بما

١ ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ تهذيب الأخلاق.

٢ ـ ص ٤٦ القيمة الاخلاقية.

٣ ـ ص ١٠٧ الوجود والقيمة.

٤ ـ ص ٢٢٤ مدخل إلى علم الاخلاق

٥ ـ ص ١٤٤ فلسفة نيتشه.

٦ ـ ص ٢٧ أصل الأخلاق وفصلها

٧ ـ ص ١٢٠ نفسه.

لديهم فرحون، وهكذا يستطيع كل إنسان أن يدرك ما ينفعه وينقصه.

فقال راوي: وعلينا ألا ننسى أيضاً انه لا معقول عند العقل إلا بالتجربة وإذا كانت القيم من معقولاته كما رأينا، وإذا كانت التجربة ذات تاريخ فلا بد أن الفضائل متغيرة باستمرار لأنه ليس من اليسير أن يعرف الانسان الصحيح أو الصواب فيما يحتاج إليه، وابسط شيء عندي انها متغيرة حسب تغير بنية القوانين التي لم تكن عن ارادة واحدة، بما انه لكل قوم مشرع وهاد يسن ما يرتئيه على انه كل الخير من خلال التجربة التي تحيط به ومن ذلك كله يكون اختلاف القيم بين الناس واختلاف ما تعنيه فهؤلاء يرون في زواج المحارم فضيلة وأولئك يرون في شرب اللبن رذيلة وهكذا دون حصر ليمتد الأمر إلى كل شيء.

فقال زلنبور: أما أنا فاني أرى أن الانسان معصوم عن الخطأ إذا التزم الهداية من بقائه لأن نفسه التي بين جنبيه هي أقرب شيء له وما من أحد إلاويعرف ما يريده بالضبط، وبذلك نخرج من نسبية ايجاد القيم إلى وجودها المطلق المرتبط بالبقاء، وهذا يعني استبدال نسبية الايجاد بنسبية السلوك مادامت حاجاتنا وأغراضنا قد تتغيز في اليوم الواحد عشرين مرة بما انه لا وجود إلى ألم مطلق أو لذة مطلقة.

فقال الشيخ بغضب: فهل تريد أن تكون أميناً خائناً، صادقاً كاذباً، جباناً شجاعاً، كريماً بخيلاً، في نفس الوقت؟ لتحقق ما تحتاج إليه وتريده. ان هذا والله لشيء عجاب، وانها الحالقة عينها.

فقال زلنبور: ولم الغضب؟ ألست أنت القائل بمبدأ فمن اضطر فلا اثم عليه، وهل هنالك وجود للمتحرر من اضطرار اللذة الألم ؟.

فقال الشيخ: ولم تحذف شرط الاضطرار، أليست الآية تقول: «**فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه**»، وهاهو البغي والعدوان فأين يكون إن لم يكن على الحدود والأغيار؟ انه لا يحق لك أن تزني ثم تزعم أن فيه نجاتك من الهلاك، بينما يحق لك أن تأكل لحم الخنزير إذا كان لابد منه لحياتك أو كنت مكرهاً من إرادة غاشمة، ولكن إذا ما كان هنالك وسيلة، إذا ما كانت الحشائش مثلاً أو خشاش الأرض فيه الكفاية، فانه عندها بغي وعدوان أن يؤكل ذلك اللحم، وان الله أولاً وأخيراً أعلم بالسرائر والضمائر و«**بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره**»[1].

فقال زلنبور هازئاً: حسناً، حسناً، فالمؤمنون لا يجب أن يكونوا بغاة ولا معتدين، فهم عاجزون عن ذلك بما أن الله يعلم ما في

١ ـ القيامة ١٤.

١ ـ القيامة ١٤ .

صـدورهم ، وليكونوا كـذلك بما أن الأفـضل أن يكون بعض النـاس هكذا على الدوام، ولكن قل لي : اين يمكننا ايجـاد الخط الفـاصل بين فضيلتين؟ ولا أظن أن أحداً يستطيع القبض عليه، فالفضـائل متصلة، وميِّز لي إن شئت ما بين البخل وفضيلة الكرم؟ أليس البخل فضيلة إذا كان صاحبة يخشى نكبات المستقبل غير المعروفة؟ ومن هو العاقل إن لم يكن كـذلك؟ أم أنه من الـواجب على رجـال الفـضـائل أن يكـونوا مجانين لا عقول لهم؟ أليس الكرم رذيلة إذا كان سيقذف بنا عراة أمام صروف الدهر؟ أليس ما أراه كرماً قد يراه غيري بخلاً، ، ربما أنا نفسي أراه كذلك باختـلاف الظروف والأحوال! انها الأنـا ولا شيء سواها يمكن أن يحـدد لنا ما تعنيـه الفضـائل، ويكفي «ارسطو» فخـراً عندما جعل الرذائل والفضـائل سواسية على خط واحـد، أليس هو القـائل بلزوم رذيلتين لتحديد كل فضيلة؟ وأنا لا أرى ذلك المميز والميزان بين التفريط والافراط والفضيلة إلا نفسي، ولكل انسان ميزانه المعتمد في تقـييم الفـضـائل أو إيجـاد الوسط وغـير ذلك. ثم أليـست مـسـألة الفضـائل والزذائل مختلطة بشكل عـجيب وغـريب؟ ولننظر في هذا الشجـاع ـ مثلاً ـ الذي يدك صـدور أعـدائه بالموت الزؤام، ألا نراه يبخل على الناس بالحياة؟ أم انه يحق لنا الزعم بأن طبيعة القيم المذمومة هي غـاية

القيم المحمودة؟ وانها لكذلك بالفعل، فالبخيل يحرص على البقاء، والكريم يدرك احتمال الضعف اللاموجود على طريقته واني لا أرى كرمه إلا رشوة من احلامه في اقتراح وجودٍ لا ضعف فيه حتى ظن أن سواه أفضل وأقدر منه على حفظ ما يملك، فقام ينفق على أمل أن يقابلوا صنيعه بالمثل فيما بعد، وكل ما في الأمر أن البخيل يثق بأمانة نفسه والكريم هذا المغفل يثق بأمانة الآخرين أكثر إلا أن المحور الذي يجمعهما هو البقاء لاغير، وتلك هي عقلنة الفضائل التي لم تكن إلا عندما نجعل من الانسان نفسه معياراً للخير والشر.

فقال الشيخ: إن الشيطان وحده يعدنا بالفقر ويخوفنا منه حتى نتجنب سلوك الفضائل، وتلك هي كل رغبته.

فقال زلنبور بعد أن جحظت عيناه حتى كاد يختنق: وما علاقة الشيطان؟ إذا كان الأمر يتعلق بطبيعة الانسان. وعندما نهض يريد الخروج امسك به «راوي» راجياً جلوسه بالملاطفه ولين الكلام حتى عاد إلى مكانه وهو يقول: إن الضعيف وحده يستخدم الشتائم حجة في دحض مالا يروق له.

فقال الشيخ: بالعكس فأنا لم أقل بأن القيم ذات وجود يمكن تحديده لأن التحديد بالإجمال لن يكون إلا ضمن مقولتي الخير

والشـر، وفي رأيي أن لفظة الفـضـيلة ـ أو القـيم ـ آتيـة من «الأفـضل» باستمرار، وهذه المحصلة تكون تيمناً بقوله عز وجل: «ادفع بالتي هي أحـسن»، هذا الاحـسن الذي مـعناه المقـارنة الدائـمـة مـا بين سلوك وسلوك وصولاً إلى الأفضل دون توقف، أما أن تكون الأنا هي المعيار الذى نزن به الخير والشر فلن انكر عليك إلا إذا وافقتني أن هذه الأنا هي الكائنة في الخيـر أو الشـر المحض وللا نسـان أن يختـار، إلا أن الأفضل له هو سلوكه في دروب الفضيلة لأنه لا بد من الفصل النهائي ما بين الخير والشر هذ الذي لا نستطيع تحقيقه بشكل مطلق ونحن في دار السلوك المسؤول.

فقال زلنبور: وكيف يكون مالم يكن بعد علة في ترجيح السلوك؟

فقال الشيخ: تماماً كما جعلت الموت الذي لـم يحدث بعد هو تلك العلة، أم انك لم تعد ترى ضرورة في إيجاد قيمة للإنسان؟

فقال راوي: ولكن هل تمَّ إذن اتفاقنا على عدم امكانية تجاوز نسبية الأخلاق؟.

فقـال الشيخ: انتمـا فقط قلتمـا بذلك، أما أنا فلا أرى هذا العجز واتمنى لو تقـرؤون القـرآن ولو مـرة واحـدة على الأقل لأنه عندها ستتعرفون كيف يتم تجاوز النسبية الكائنة عن تجربة العقل.

فقال راوي: ولكن لا بأس علينا إذا ما استمعنا منك إلى الأصول المعتمدة من أجل ذلك الغرض.

فقال الشيخ: إن القرآن بادىء ذي بدء يميز لنا بين نوعين في السلوك: فإما أخلاق تنتسب أو تهتدي بالتجربة والأهواء، وإما اخلاق تهتدي بأوامر الله عز وجل: «**إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من ولى ولا نصير**» (١). فأخلاق الأنا متغيرة بأغراض وحاجات أصحابها، وكل «يعمل على شاكلته» (٢). بل وبأهوائهم وعجز ادراكهم «**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون. إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**» (٣). حتى أصبح الهوى مشرعاً كأنه الإله المعبود (٤)، فالأخلاق التي مصدرها الجهل والأهواء هي أخلاق حيوانية وصاحبها «**أخلد إلى الأرض واتبع هواه**» (٥)، «**ومن أضل ممن اتبع هواه؟**» (٦). فالهوى يؤدى إلى الظلم (٧) وإلى تعطيل العقل عند ربطه بالتقليد والانقياد الأعمى (٨) كما يزين للانسان سلوكه المشين، بل وله

---

١ ـ البقرة ١٢٠، ٢ ـ الاسراء ٨٤، ٣ ـ البقرة ١١ ـ ١٢، ٤ ـ الفرقان ٤٣، الجاثية ٢٣،

٥ ـ الانعام ١١٩، الكهف ٢٨، الروم ٢٩، الشورى ١٥ محمد ١٤ و١٦ ٦ ـ القصص ٥٠

٧ ـ المائدة ١٣٥، ٨ ـ الزخرف ٢٢ ـ ٢٣، البقرة ١٧٠.

قدرة الصد عن السبيل القيم «١»، والآن تعالوا لنخلع الأهواء والجهل ولنجعل الانصياع للقانون خلق وفضيلة حتى نزيل الفجوة في علاقة القانون والأخلاق، وما رأيكم بذلك؟.

فقال زلنبور: إن ما تطلبه محال، وأي انسان هذا الذي يتوفر فيه كل ذلك؟!.

فقال راوي: وكذلك يستحيل أن يصبح القانون والخُلق سيان ككائن واحد لأن القوانين كما رأينا قد لا يرضى عنها الجميع ، ولا عن واضعها أيضاً.

فقال الشيخ: إن ذلك لن يوجد بإنسان قط ، فالله وحده يجب أن يكون المشرِّع والآمر ، وهو أعلم منا بما نحتاج إليه، وهديه كان ومازال هو نفسه «**سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**» «٢»، «**لا مبدل لكلماته**» «٣»، وكلماته قائلة مذ خلق الانسان انه لابد من الحساب على الأعمال صغيرها وكبيرها «**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون**» «٤»، والعبادة تشمل الانصياع لما يشرع في السر والعلن وانه «**يعلم السر واخفى**» وبذلك نكون قد فرغنا من نسبية المصدر لأن القول بالإله

١-ص ٢٦ ، ٢-الاحزاب ٦٢ ، ٣-الاسراء. ، ٤-الانبياء ٢٥

يعني تجاوز الجهل والأهواء على حد سواء.

فقال راوي: وهل كل انسان رسول حتى يمكن لنا ذلك؟.

فقال الشيخ: الرسالة بين ايدينا، ومحمد خاتم النبيين ولا رسول بعده، والقرآن إن تمسكنا به يجمعنا إلى ضمير مشترك، والضمير الناتج عنه سيكون مقيماً وحاكماً على ارادة كل الناس دون تمييز بين حاكم ومحكوم أوغني وفقير، وكل إنسان عندها يحق له أن يكون ضميراً لكل إنسان آخر بما أن القرآن مصدر التمييز ما بين الخير والشر موجود في ايدي الجميع يتلونه زرافات ووحدانا بالليل وآناء النهار، وهل من كتاب في القانون استطاع ان يكون في صدور رعاياه وقلوبهم كما هو كتاب الله؟

وبذلك نكون قد تجاوزنا أيضاً نسبية التعرف إلى الخير والشر بما أنه تم اتحاد الضمائر بين كل الناس.

وتعالوا الآن لننظر في اتحاد القانون بالأخلاق بالايمان، فعلى سبيل المثال لا الحصر إن القاتل عمداً يقتل، والمعنى الخلقي المرافق لهذا الحكم يقول: «**من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**». واللواط، وعلى الرغم من العقوبة فإنه خلقياً يقيَّم بالاسراف: «**انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء، بل انتم قوم**

مسرفون». والذي يكتم الشهادة كذوب وآثم وحقود «**ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**». ومن ناحية أخرى فإنا نرى أن العقوبة بشكل عام تتضمن في ثناياها غرضاً خلقياً، فعقوبة «الظهار» مثلاً تحرير رقبة مقهورة بالرق، أو صيام شهرين تربية للارادة، أو إطعام ستين مسكين أو فقير، وفي ذلك يقول تعالى: «**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم**»(١)، فالعقوبة ليست في السماء وحدها ولا بالقانون وحده وما الايمان إلا لايجاد العمل الصالح «فالدين الاسلامي منذ أن أعلن نبيه العظيم: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» أبدى شيئاً لم يكن بالحسبان وهو الارتباط الوثيق بين الدين والخلق، حتى أن كل شعيرة من شعائر الاسلام متشابكة مع فضيلة من الفضائل، فلا الدين وحده، ولا الأخلاق وحدها بل دين وأخلاق»(٢).

---

١ ـ المجادلة ٣ ـ ٤.

٢ ـ ص ٦ ـ ٧ الاخلاق الاسلامية.

- الضمير -

فقال راوي: أنا لا أخفي عليك ايها الشيخ رؤياي للايمان بأنه ثقيل ولا قبل لي به، وأرجو منكم أن تنظروا معي في أمرين ان صلحا فلا حاجة لي بشيء غيرهما هما النية والضمير. فلو علمت النوايا أو استطعت ايجاد الضمير الصالح لكان في ذلك كفايتي.

فقال الشيخ: ومن اين لك معرفة النوايا إذا كان الانسان كما يقول «ابن مسكويه» هو الوحيد «من بين الحيوان يتصنع حتى يظهر للناس منه ما لا حقيقة له، فيبذل ماله وهو بخيل ليقال هو جواد، ويقدم في بعض المواطن على بعض المخاوف ليقال هو شجاع. وأما سائر الحيوان فإن اخلاقها ظاهرة للناس من أول الأمر لا يتصنع فيها» «١». فليس لنا في نهاية المطاف إلا ذلك الغلاف الخارجي، إلا ما نرى ونلمس ونسمع ونشم والنوايا لا إدراك لنا بها قط، فهي خاصة بصاحبها دون الناس جميعاً «**بل الانسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره**» «٢». فالأفعال التي يقوم بها الناس لا يمكن لنا ابداً أن نكشف عن دوافعها، ان كل مانعرفه عنها هو مظاهرها الخارجية» «٣».

فقال زلنبور: وهذه النقطة بالضبط هي التي يجب أن تحدد سلوكنا

---

١ - ص ١٤٠ تهذيب الأخلاق

٢ القيامة ١٤، ٣ - ص ٦٢ الاخلاق عند كنت.

نحو الآخر بطريقتين لا ثالث لهما، فإما أن تكون مصدر قوتنا فنظهر للناس الوجه الذي نريد الاختفاء وراءه وهو ما نسميه بالمكر والدهاء. وإما أن نكون على استعداد دائم للحذر منهم، والانسان أولاً وأخيراً ليس إلا ذئباً لأخيه الانسان، والا حيمر السعدى» أكد هذا المعنى بقوله:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت إنسان فكدت أطير

يرى الله إني للأنيس لكاره وتبغضهم لي مقلة وضمير»[1]،

و «سارتر» يرى أن «الجحيم هم الآخرون»[2]، وكل واحد «منهم يعذب الآخرين»[3]. ومن أجل ذلك كان «سنيكا» يقول: «اهجر الناس لتصلح حالك وتموت على الحكمة»[4].

فقال راوي: ليس هذا ما أريد، أريد مجتمعاً لا عقارب، فمجتمع العقارب لا بد مآله الموت، وقد أخطأ «ماكس سترنر» عندما قرر «أن الفرد هو كل شيء وأن الجماعة ليست بشيء»[5]، ومخطىء أنت أيضاً إن ذهبت لتعوي وراءه بوعي أو بدون وعي.

---

١ ـ ص١٠٦ أشعار اللصوص وأخبارهم. ، ٢ـ ص ٦٢ سارتر بين الفلسفة والأدب
٣ـ ص ٩٠ نفسه . ٤ـ ص ٢٣٥ الفلسفة الرواقية.

٥ـ ص١١٩ تاريخ النظريات الأخلاقية.

فقال زلنبور: وعندما تستطيع تحقيق حلمك بوجود مجتمع المهابيل أو المجانين سوف أرضخ عندها بين يديك بكل الصغار الذي يكلل المهزوم.

فقال الشيخ: دعونا من السفاسف والمهاترات، فليس من أحد يرضى بوجود مجتمع من العقارب أو المهابيل، و «كنط» خرج من هذا المأزق عندما بنى أوامره المطلقة على توفر النية أو الارادة الطيبة، وما رأيكم بذلك الحل؟.

فقال راوي: وما نفعها إن لم نستطع الحكم عليها، بما أنها ليست مرغمة على الخير دائماً لا من طبيعتها ولا من أي شيء خارجها، وكيف ستكون النية دائماً طيبة ومؤثرة على الارادة؟

فقال زلنبور: هازئاً وهو يضحك: لم لا نطرد النية من الوجود الخلقي بما أنها آبقة إلى هذا الحد؟.

فقال الشيخ: ولكن لابد من وجودها في كل فعل نقوم به لأنها تعني من جملة ما تعني تصور الانسان لنتائج أفعاله، فإن لم تكن فأفعالنا عندئذ ستندرج نحو الأفعال اللاإرادية التي تخرج عن التقييم والمسؤولية تماماً كما ندرج أفعال الجاهلين لغاية ما يقومون به « **وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به** » أو كما ندرج أفعال المقهورين لأن

الارغام يحول بين النية **أو ما يريده الانسان** والارتباط بالفعل « **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه**»(1)، وإذا ماكانت النية هي الارادة المعقودة كما رأينا فيحق لنا أن نقول صدق الرسول الكريم حين قال : «**انما الأعمال بالنيات**» (2).

ولن يعرف النوايا أو الارادة المعقودة عند الانسان على الحقيقة إلا الله وحده، والايمان بوجود تلك المعرفة هو الذي يستطيع نقل النية البعيدة عن طبيعة حكم القانون إلى حظيرة القانون الالهي وعندها يكون «ولكل امرىء ما نوى» والرسول «ص» يروي لنا عن ربه عز وجل قائلاً : « **فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشرة حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة**»(3) . وقال عز وجل : « **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**»(4)، فالانسان الذي بإمكانه أن يخدع الآخرين عاجز عن ذلك أمام الله، والمؤمن يجب ألاّ تخرج نواياه في كافة الظروف والأحوال عن الخير قط بما أن القضية تجري بمعيار الأحسن والأفضل الذي تعود نتائجه عليه.

١ـ البقرة ١٧٣ ، ٢ـ أول حديث من صحيح البخاري.
٣ـ البخاري كتاب الرقاق باب ٣٠ ، ٤ـ النساء ١٠٠ .

فقال راوي : وكيف لي أن أختار أعضاء المجتمع من هؤلاء المؤمنين فقط؟

فقال الشيخ : « إذا كان الإعلامُ بما يملكه من وسائل تقنية قادراً على تشجيع الانفاق لشراء التبغ الضار مثلاً أيعجز عن ايجاد المؤمنين الذين اجتمع فيهم كل الخير؟ فادعوا إلى سبيل الله، ولا تتبعوا السبل والأهواء إن كنتم صالحين لمجتمعكم. واعلموا ان الايمان والاعمال الصالحة قد ارتبطا في القرآن في وحدة لا يمكن تفتيتها في تحديد المؤمن، انها كعلاقة الشرط بالمشروط، بل ان ذكر الايمان كثيراً ما ورد ملازماً ورديفاً لذلك العمل كقوله : « **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** »[1] ، فالأعمال الصالحة هي التي تشهد بحسن ايمان المرء أو قل انها تتيح للآخرين الحكم على ذلك الايمان، وهذا يعني أن المجتمع هو المستفيد، فله في دنيانا هذه، ثمرة المؤمنين، وللمؤمن كل الخير، والخير الخالص في الآخرة، المؤمن يبذل المال دون ان يرجو ثمناً من أحد، ودون أن يترفع باللاثمن، كما لا يخشى أحداً غير الله »[2] انه لا يتعاطى اللغو في أحاديث لا قيمة لها، كما لا يتعاطى الزنا بكل اشكاله، وهو ملتزم بالعهد والأمانة»[3] والمؤمنون

---

١ ـ الاعراف ٤٢، الرعد ٢٩، يونس ٩، هود ٢٣، البينة ٧، ص ٢٤

٢ ـ التوبة ١٨ ، ٣ ـ المؤمنون ١ ـ ١٠ ،

«يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون» (١)، «**لا يرجون علواً في الأرض ولا فساداً**» (٢)، لا يبغي بعضهم على بعض (٣)، وانهم على الاستقامة (٤)، وهم بذلك «**خير البرية**» (٥)، «**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين**» (٦).

ولكن أليس من الواجب معرفة ما يأمر الله به حتى يسمى المطيع مؤمناً؟ يقول تعالى: «**قل تعالوا اتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكّرون وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون**» (٧).

كما أمر باجتناب الربا وشرب الخمر والخيانة واللواطة وقذف المحصنات واليمين الغموس والغلول وكتمان الشهادة والقمار والغيبة

---

١ ـ المؤمنون ٦١ ، ٢ ـ القصص ٨٣ ، ٣ ـ ص ٢٤ ٤ ـ الاحقاف ١٣ ،
٥ ـ البينة ٧ ، ٦ ـ فصلت ٣٣ ، ٧ ـ الانعام ١٥١ ـ ١٥٣ .

والكذب وقطع الطريق والكبر والأذية للعباد وقطع صلة الرحم وهجر الأقارب والرشوة وأكل الميتة وشرب الدم وأكل الخنزيز، أم لا علاقة إلى ذلك كله بصحة المجتمع وعافيته؟ أم لا علاقة له بالأخلاق والقانون والايمان؟ واعلم يا «راوي» اني لم أرى الايمان ثقيلاً إلا على الفاسدين بالفعل، ولكنني لا أرى أبداً أن الفساد طبع لا يمكن التخلص منه، وأظن انه قد آن الأوان للاعتراف بضرورة القرآن من أجل الجميع.

فقال راوي: ولكن ألا ترى معي أنه لو استطعنا ايجاد الضمير الذي نرغب فيه حاكماً في صدور الناس فسوف نتجاوز عندها كل الآفات الناتجة عن وجود النية؟ أليس الضمير من بعض الوجوه هو الميزان الذي توزن به النوايا؟.

فقال زلنبور: ولكن لفظة الضمير لا تشير إلى شيء ذا وجود، ومن أجل ذلك تعددت الآراء المتضاربة حوله و«الماركسية» ترى انه «لا يمكن التعبير عنه بالكلمات»[1]، والبعض قال بأنه «صوت»[2]. أو صوت الله على حد تعبير أصحاب «سقراط» أو «نور الهي» كما يقول «الغزالي» أو «قبس من نور الهي» كما يقول «ابن مسكويه».

---

١ ـ ص ٤٢ علم الأخلاق الماركسي، ٢ ـ ص ٨٠ الواجب السعادة.

والرأي الثالث يسميه «بالبصيرة الفطرية»[1]

على حد تعبير «روسو»، و «ابو بكر ذكرى» يرى «ان ذلك الضمير الانساني الذي لا يخبو نوره هو الفطرة الانسانية الصحيحة المستقيمة، انه جوهر كريم لا تتغير قيمته بزمان ولا مكان»[2]، وهؤلاء يقولون بأن «لدى كل انسان قوة غريزية يميز بها بين الحق والباطل والخير والشر والأخلاقي وغير الأخلاقي. . وهذه القوة ليست نتيجة بيئة ولا زمان ولا تربية بل هي غريزة لا مكتسبة وهي جزء من طبيعتنا منحناها لنميز بها الخير من الشر كما منحنا العين لنبصر بها والأذن لنسمع بها»[3]، وإذا ما أردنا ربط الضمير بالمعنى الحقيقي للغريزة أى بالعضوية فيجب أن يرتبط عندها بكل الانسان المتمثل بغريزة البقاء التي يجب أن يستمد أحكامه منها، وبذلك يتحقق المعنى الشمولي للفعل الخلقي عند كل البشر بما أن الشر هو الشر نفسه والخير هو الخير نفسه كان ومازال، وما من إنسان مذ وجد الانسان يرى البقاء شراً والفناء خيراً، وبغير ذلك فلن يكون للضمير عصمة قط، وصادق «روسو» عندما قال: انه «حاكم لا يخطىء حكمه على الخير والشر»[4]، و «نيتشه يسمي هذا الضمير بغريزة السيطرة فالانسان السيد يسميها

---

١ ـ ص ٢٣٠ العقيدة والاخلاق، ٢ـ ص ١٢٤ تاريخ النظريات الاخلاقية،

٣ـ ص ٨٣ ـ ٨٤ كتاب الأخلاق ٤ ـ ص ٥٣ـ ٥٤ الأخلاق النظرية

ضميره»(١).

وعندما أراد الشيخ الكلام منعه زلنبور الذي أردف قائلاً: وليس الضمير وتحليل طبيعته نهباً لكل من أراد ذلك و «البدوي» يقول: «لم نعثر على استعمال كلمة «ضمير» بمعنى الشعور المميز بين الخير والشر في كتب اللغة العربية ولا في كتب الآدب ولا في كتب الفلاسفة المسلمين»(٢)، وكيف يكون الرأي مسموعاً إذا كان غضاً لا تاريخ مديد له، وها هو «عبد الحي محمد قابيل» يقول: ان الضمير كله لم يكتشف «إلا في سنة ١٢٢٥ م وظل هذا المعنى غريباً عن اللغة العربية حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين»(٣).

فقال الشيخ: ولكن أما سمعت في العربية بالإضافة إلى ما ذكرته عند الحديث عن فطرية الضمير بلفظة «الزاجر» أو «الواعظ» أو «السر» أو «داخل الخاطر» أو ما هو مضمر»، ان هذه الالفاظ كلها تعني الضمير، أم ان استخدامك لفظة «الحسام» تنفي لفظة «السيف»؟ فليست العبرة بالاسم وانما بالمسمى، والمسمى أو المنعوت كما ترى واحد، وقد قال عز وجل: « **ولا أقسم بالنفس اللوامة**»(٤)، وهذه النفس فسرها «القرطبي» بأنها هي نفس المؤمن الذي تراه دائماً يلوم

١ـ ص ٥٦ أصل الاخلاق وفصلها، ٢ـ ص ٥٣ الأخلاق النظرية

٣ـ ص ٨٠ الواجب السعادة، ٤ـ القيامة ٢

نفسه على الشر: لما فعلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه»[1]. ولكن اجنبي يازلنبور:

أليست محاكمة الضمير تعني وجود تجربة داخلية مع معيارية الخير والشر؟

فقال زلنبور: نعم.

فقال الشيخ: ألا يعني هذا انه من الضروري للضمير معرفة الخير والشر حتى تتم له تلك التجربة؟.

فقال زلنبور: حتماً، حتماً لابد من هذه المعرفة.

فقال الشيخ: ولكن ألا تلاحظ معي أن هذا يعني أن احكامه نسبية وليست مطلقة لأن المعرفة ومعرفة الخير والشر متفاوته من انسان لآخر، أم سوف تقول انه لا وجود هنالك لعلاقة تجمع بين العقل والتجربة؟

فقال راوي: بالعكس، فالعلاقة بينهما وطيدة، بل وأكثر، فالضمير كما يقول «لا لاند» في معجمة الفلسفي هو «خاصية العقل في إصدار أحكام معيارية تلقائية ومباشرة على القيمة الأخلاقية»[2]. انه «محاكمة عقلية وبرهنة منطقية وليس مجرد عاطفة لاواعية كما يقول «روسو» وأمثاله من القائلين بأنه غريزة أو من قبيل الغريزة»[3]

١ ـ ص١٤٢ ج٢ موسوعة اخلاق القرآن، ٢ ـ ص ٨٠ الواجب السعادة. ٣ ـ ص ٦٥ الأخلاق النظرية.

. و«فولكييه» «يؤكد أن الضمير الأخلاقي هو في جوهره عقل» «١»، والقديس «توما الاكويني» يقول: انه «الحكم الصادر من العقل»«٢»، والدليل على نسبيته هو ما نراه من اختلاف الوجدان «اختلافاً كبيراً بين الأمم حتى المتمدنة منها فهي مختلفة في تقويم الخير والشر. . . بل إن الشخص الواحد يختلف وجدانه باختلاف زمانه»«٣»، وكذلك «تختلف أوامر الوجدان على عمل لا يشعر آخر بأن فيه شيئاً من الشر» «٤». ومن هذا المنطلق تقول «الماركسية» بأن «الضمير هو حامل الأخلاق الاجتماعية الطبقية إلى الحياة النفسية للشخصية المنفردة» «٥»، و «ماركس» يقول: «ان الضمير عند الجمهوري هو «غير الضمير الموجود عند الملكي، وعند المالك غيره عند غير المالك وعند المفكر غيره عند العاجز عن التفكير»«٦»، و«لينين» وجد في الشيوعية وفلسفتها مادة وموضوعاً لاستنتاج احكام الضمير إن لم تكن هي الضمير نفسه، حتى « **اعتقد بأن الناس المخلصين حتى النهاية لافكار الشيوعية لا يستطيعون ولا يجب عليهم، لا بالقول ولا بالفعل أن يسلكوا ضد الضمير**» «٧». فلكل مجتمع ضميره الخاص به، فالأنا العليا أو المجتمع قادر على زرع الضمير الملائم عند الأفراد، حسبما

١ - ص ٥٩ نفسه ٢ - ص ٥٩ نفسه. ٣ - ص ٧٠ كتاب الأخلاق ٤ - ص ٦٩ نفسه

٥ - ص ١٨٦ علم الاخلاق الماركسي. ٦ - ص ١٨٨ نفسه ٧ - ص ١٩١ نفسه.

يرتئيه ضرورياً لترميم القانون، وعندها يكون « **حكم الضمير أو الوجدان هو الحكم الذي تصدره الأنا الاجتماعية**»(١). «فالضمير الأخلاقي عند الانسان يتقيد كثيراً بما يسود في المجتمع من معتقدات وعادات وتقاليد ولذلك فإن الانسان يحكم على الأفعال والتصرفات لا من خلال ضميره فحسب بل من خلال ضمير المجتمع»(٢)، ويقول «دوركهايم»: انه «حين يتكلم الضمير فالمجتمع كله يتكلم فينا»(٣).

فقال زلنبور: ولكن كيف يستطيع المشرع أن يزرع أو يكوِّن الضمير عند رعاياه؟.

فقال راوي وهو يضحك: بالخازوق والمشانق والمآسي، فخلاصة رأي أصحابنا الاجتماعيين «أن الضمير حصيلة آلاف الضغوط الاجتماعية على الفرد: التربية في الأسرة وفي المدرسة، القهر الرسمي الذي تمارسة المؤسسات والنظم الاجتماعية. القهر المنتشر الذي يصدرعن الأعراف والآيين والتقليد والاحتذاء وسلطان البيئة والحضارة وكلها قوى تتضافر وتتحالف على تشكيل ضمير الفرد»(٤).
. أما «التطوريون» فيرون انه متكون من «وراثة الاخلاق المكتسبة»(٥).

١ـ ص ٢٢ منبعا الأخلاق والدين ٢ـ ص ٨ـ ٩ الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع.

٣ـ ص ٦٢ الأخلاق النظرية. ٤ـ ص ٦١ نفسه. ٥ـ ص ٧٠ نفسه ،

وهو رأي غريب لا حقيقة تجريبية له، أما النفعيون فلا يرون ولادته إلا في حظيرة العقاب والألم و «فرويد» وأصحاب مدرسة التحليل النفسي يرونه وليد الضغوط الأبوية. ولو نظرنا في ذلك كله لرأينا أن فكرة اللذة والألم هما ربان صياغة الضمير، وماذا لو تحلينا بالحكمة في استخدامهما؟ ألا نكون قادرين على تجاوز حاجتنا للدين؟.

ونحن نرجوا أن تصبح أحكام الضمير هي لسان المشرع نفسه وهذا يعني نقل إكراه القانون الذى لا يطال إلا القشرة الخارجية إلى إكراه يسيطر على الارادة من داخل الانسان، وانها لغاية سامية عندما تمتد سلطة القانون نحو المكافأة عوضاً عن ا لتوقف عند العقاب فقط، ولتكن الغبطة مكافأة الاحكام الصائبة وليكن ألم الضمير لمن يخطىء، وما هي الأخلاق إن لم تطلب الصدق لذاته على سبيل المثال ـ مع الخير والشر، فإذا كان هذا لنا فسوف يستطيع الضمير عندها أن يدفع المجرم للاعتراف بجريمته أمام القانون وعندها تكون أحكام المشرع صادقة لاعوج فيها.

فقهقه زلنبور وقال: ليس في وسعي إلا احترام نبل غايتك وسمو ما تطلب، ولكن لم لا تتبع الأمور بمجاريها الصحيحة، فالضمير كما قلت لا عمل إيجابي له إلا من خلا ل اللذة والألم، ولكن الألم

الناتج عنه بإمكانه أن يدخل في مقارنة مع ألم آخر قد يقع على الأنا، وإلا فكيف سيكون في علاقة مع العقل؟ وهل من أحد يزعم بأن الألم الناتج عنه يفوق أو يساوي زوال البقاء، وأي ضمير هذا الذي له القدرة على قذف صاحبه إلى الموت من أجل الحصول على الغبطة، فهل سيكون موجوداً حنيئذ لينعم بما قام به؟ دعك من الخرافة والجنون، فليس ألم الضمير يساوي الحياة ولا الغبطة تساوي الموت، والجنون الأكبر قولك أن الضمير هو إرادة الآخر في الأنا، واعلم أن هذه الارادة لم تكن كذلك إلا من خلال الإكزاه أو وجود غفلة فيمن تزرع فيه كالحداثة أو العقاب أو الجهل وقلة التجربة، ومأساة المشرع تتمثل على الحقيقة في عدم استمرار هذه الغفلة وفي فقدان إرادة الاكراه، فالصغير لا بد يكبر والجاهل لابد أن يدرك عدم عصمة صناع الضمير، وقد تختلف أغراضهم عن أغراضه، وربما يكون الصواب ملك يمينه وبذلك كله يرتد الانسان إلى نفسه، ولا ضير علينا إن قلنا ان هذا العائد قد أصبح ميت الضمير أو مريضه بما أننا يجب أن نرفض الخديعة، فليس من أجل لا شيء يمكن ايجاد الصدق المطلق ويجب ألاّ نكون عراة أمام كل أفاك ومحتال، وسوف تفرض الضرورة خلع هذا الجسم الغريب لأنه لم يكن إلا العقل في حالة

محايدة، وتباً للعقل إن أصبح وسيلة للقضاء على الذات، وكيف تسول لكم أنفسكم ايجاد الفعل الخلقي بأساليب غير خلقية؟!.

فقال الشيخ: صحيح ان الانسان لن يفعل شيئاً من أجل اللاشيء أو العدم إلا بكونه مجنوناً، ولكن الموت ليس كل الشر ولا البقاء كل الخير، وأكبر دليل على ذلك أن الحياة تحتضن الموت مذ يولد الانسان، وإذا صح عند العقل وجود الخير المطلق فلا بد عندها من نفي علة اللاشيء، وهاهو «ابن سلمى» يقول: «مما دعاني إلى الاسلام أني طعنت رجلاً منهم - من المسلمين يومئذ بالرمح بين كتفية فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول: فزت والله! فقلت في نفسي: ما فاز! ألست قتلت الرجل! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: للشهادة»[1] والمرأة الغامدية دفعها ضميرها الواعي الذي أصبح عقلاً بالفعل للاعتراف أمام القانون بإصرار لم ترجع عنه حتى أقيم عليها حد الموت! وأمثال هذه القصص في تاريخنا الشيء الكثير التي تبرهن على قدرة الايمان في ترميم الفعل الخلقي.

فقال راوي بلهفة: ومن اين يستمد الضمير عندكم احكامه حتى

---

١ - ص ١٨٧ مجلد ٣ - ٤ سيرة ابن هشام.

أصبح مساوياً للارادة أو هي هو؟ .

فقال الشيخ: من القرآن، وسنة رسول الله «ص»، وقد قالت عائشة عن محمد: «لقد كان خلقه القرآن» ويقول الله عز وجل: «**وإنك لعلى خلق عظيم**» [1]، فالقرآن مادة الضمير ومصدر الخُلق وقد وصفه الله «بالحق» [2] و«بالحق والميزان» [3] كما وصفه «**بالنور**» [4] و «**بالكتاب المبين**» [5] و «**بالبرهان**» [6] وبالكتاب «**الحكيم**» [7] و «بالمجيد» [8] و «**بالهدى**» [9] «**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**» [10]. وهو «**الصراط المستقيم**» [11] «**ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم**» [12] وهو **البصائر** [13]. فالقرآن الذى يتصف بكل تلك الصفات ذات «العلاقة الواضحة بالسلوك هو الذي يحدد الأعمال الصالحة، انه ميزان الارادة، ومن أجل أن يكون كذلك دائماً جعله الله وسيلة للذكر «**تذكرة لمن** يخشى» [14] «**ولقد يسرنا القرآن للذكر**

---

١ ـ القلم ٤ ، ٢ ـ آل عمران ٢ـ٣ـ٦٠ ـ ١٠٨ ، النحل ١٠٢ البقرة ١١٩ـ١٧٦ ، الزمر ٤١ ، الاسراء ١٠٥ ، النساء ١٧٠ ، ٣ ـ الشورى ـ ١٧ ٤ ـ النساء ١٧٤ المائدة ١٥ ـ ١٦ ، ٥ ـ المائدة ١٥ ، البقرة ٩٩ ، ٦ ـ النساء ١٧٤ ، ٧ ـ البقرة ٢٣١ . يس ٢ ، ٨ ـ البروج ٢١ ، ٩ ـ البقرة ٢ـ٥ ١٢٠ ١٨٥ ، آل عمران ٧٣ ، الاعراف ٥٢-٢٠٣ ، النمل ٣ / ٧٧ . الزمر ٢٣ ، ١٠ ـ الاسراء ٩ ، ١١ ـ آل عمران ٥١ ، الانعام ١٥٣ ، الملك ٢٢ . ١٢ ـ آل عمران ١٠١ ، ١٣ ـ الانعام ١٠٤ ، الاعراف ٢٠٣ ١٤ ـ طه ٣ .

فهل من مدكر »(١)، وتلاوته عبادة «**اتلوا القرآن**»(٢)، ورتلوه « **ترتيلا** »(٣)، وعلموه وادرسوه حتى تـ «**كونوا ربانيين**» (٤)، وإذا ما قرىء « **فاستمعوا له وانصتوا** »(٥)، فانه «**شفاء ورحمة للمؤمنين**»(٦)، و «**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**»(٧)، «**ومن يعتصم بالله فقد هدى إلي صراط مستقيم**»، إن قراءته تذكر الانسان بنتيجة اختياره المؤدي إلى السعادة أو الشقاء «**فذكر بالقرآن من يخاف وعيد**» (٨)، « **ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون**» (٩)، ، ان القرآن ميزان الارادة، انه «تبياناً لكل شيء» (١٠). وقد اراده الله «**ليحكم بين الناس** »(١١)، «**ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة**» (١٢)، انه الشريعة « **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**» (١٣)، « **فاستقم كما أمرت**» (١٤)، و «**تلك حدود الله**»(١٥)، « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**»(١٦)، أو «**الظالمون**» (١٧)،أو «**الفاسقون**»(١٨) .

إن القرآن مادة في ايجاد الضمير المشترك للناس جميعهم، وليس الفرد فقط « **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**»(١٩)،إن نه «ذكر

١ ـ القمر ١٧-٢٢-٣٢-٤٠ ، ٢ ـ النمل ٩٢ ، ٣ ـ المزمل ٤-٥ ، ٤ ـ آل عمران ٧٩ ٥ ـ الاعراف ٢٠٥ ،
٦ ـ الاسراء ٨٢ ، ٧ ـ الحشر ٢١ ، ٨ ـ ق ٤٥ ، ٩ ـ النازعات ١٠ ـ الزمر ١٦ ، ١١ ـ النحل ٨٩ ، ١٢ البقرة ٢١٣ ، النحل ٦٤ ١٢ ـ الانفال ٤٢ ، ١٣ ـ الجاثية ١٨ ، ١٤ ـ هود ١١٢ ، ١٥ ـ النساء ١٤ ـ ١٦ ـ المائدة ٤٤ ، ١٧ المائدة ٤٥ ، ١٨ ـ المائدة ٤٧ ، ١٩ ـ آل عمران ١٠٢

للعالمين» [١]، و «**للعالمين نذيرا**» [٢]، و «**رحمة للعالمين**» [٣]، «**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا**» [٤]، وبذلك نكون قد حصلنا على الشمولية الموضوعية في صياغة الفعل الخلقي التام.

فقال راوي: هب اني آمنت بكل ذلك، وافترض اني قرأت القرآن كله، فما الذي أجده فيه دافعاً للارادة، ووازعاً في تحريك نزوعها نحو الخير؟

فقال الشيخ: أولاً، سوف تدرك صفات الله وعلاقته في ايجاد الفعل الخلقي، ان الله عليم «**وكان الله بكل شيء محيطا**» [٥]، «**والله بكل شيء عليم**» [٦]، «**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**» [٧]، «**والله عليم بالظالمين**» [٨]، وبالمعتدين [٩]، «**وهو أعلم بالمهتدين**» [١٠]، إن الله بصير «**إن الله بما تعملون بصير**» [١١]، وهو خبير «**والله بما تعملون خبير**» [١٢]، وهو مشاهد لما نعمل «**والله شهيد على ما تعملون**» [١٣]، وهو الرقيب «**ان الله كان عليكم رقيباً**» [١٤]. وهل من مؤمن عندها لا يحسب لله حساباً في كل سلوكه، ما ظهر منه وما بطن؟ ان الايمان بوجود الله يؤدي إلى الارادة الصادقة دائماً، حتى ان الفجوة التي تفصل ما بين

---

١ ـ القلم ٥٢، التكوي ٢٧، ٢ ـ الفرقان ١، ٣ ـ الانبياء ١٠٧. ٤ـ سبأ ٢٨، ٥ ـ النساء ١٢٦ آل عمران ١٢٠
٦ ـ النساء ١٧٦، ٧ ـ البقرة ١٩٧، ٨ ـ البقرة ٢٤٦، الانعام ٥٨، ٩ ـ آل عمران ٦٣، ١٠ ـ الانعام ١١٧،
١١ ـ البقرة ١١٠، ١٢ ـ البقرة ٢٣٤، ١٣ ـ آل عمران ٩٨، ١٤ ـ النساء ١.

الارادة والنية، تلك الفجوة التي حاول كل علماء الأخلاق ردمها بكافة السبل لا وجود لها عند من آمن بوجود الإله العليم، ولقد كرس القرآن فضائل عديدة غايتها الاقتراب من الاحساس بوجوده عز وجل وهي:

١)- التقوى: «ومعناها في الأصل: جعل النفس في وقاية مما تخاف»(١)، «فمن أراد التقوى خاف مقارفة الاثم وبعد عنه»(٢)، وقال عز وجل: «**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**». أي أحسنكم أخلاقاً»(٣)، والتقوى على سبيل المثال دافع لوجود الأمانة: « **فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه**».

٢)- الاشفاق: «**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**»(٤)، يسعون إلى العمل الصالح دون كسل ولا إبطاء «**ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون، أولئك يسارعون إلى الخيرات وهم لها سابقون**»(٥).

٣)- الخوف والخشية: «والخوف من الله ليس هرباً منه أو إعراضاً عنه، بل هو قوة احساس بعظمته وهيبته»(٦)، انها «فضيلة تعلم

١- ص ٢٠٢ ج١ موسوعة أخلاق القرآن.

٢- ص ٢٠٧ نفسه ٣- ص ٢٠٧ نفسه.

٤- المعارج ٢٧ / ٣٥، ٥- المؤمنون ٥٧-٦١.

٦- ص ١٥٧ ج١ موسوعة أخلاق القرآن.

الانسان الخضوع لله، والعزة على سواه» (١)، «**ولمن خاف مقام ربه جنتان**» « **إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا**» (٢)، والذين يخافون الله لا خوف عليهم من سواه « **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**» (٣)، وهم المقاومين للظلم « **لا يخافون في الله لومة لائم**» (٤)، «**ولا يخشون أحداً إلا الله**» (٥).

٤)-الإخبات : و «أخبت الرجل إلى الله، إذا خشع وتواضع» (٦)، « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون**» (٧).

٥)-الرجاء : « **الرجاء هو الأمل وعدم اليأس، وقيل انه التوقع لما فيه خير ونفع**» (٨)، « **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**» (٩)، والمؤمنون يرجون رحمته ويخافون عذابه.

٦)-الحذر: يقول تعالى : « **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه**» (١٠)، أي أن الله يعلم ما في أنفسكم من العزم على مالا يجوز فعله، فاحذروا حسابه وعقابه «**ويحذركم الله نفسه، وإلى الله المصير**» (١١).

---

١ - ص ١٦٢ نفسه، ٢-الانسان، ٣-يونس ٦٢ ، ٤-المائدة ٥٤.

٥-الاحزاب ٣٩ ، ٦-ص ٢٤٠ ج٢ موسوعة ، ٧-هود ٢٣

٨-ص ٢٢٨ ج٢ موسوعة ، ٩-الكهف ١١٠ ، ١٠-البقرة ٢٣٥ ، ١١-آل عمران ٢٨ - ٣٠.

٧) ـ الوجل : «الوجل هو الفزع من عذاب الله»(١) ، « **والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربهم راجعون، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**» (٢) وأصحاب الوجل «**هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**» (٣) .

٨) ـ التذكر وذكر الله : يقول الدكتور «احمد الشرباصي» «وبفضيلة التذكر يتذكر الانسان ما عليه من واجبات فيؤديها ، وماله من حقوق فيبحث عنها ، وما فيه من عيوب فيصلحها ، ويتذكر حسناته فيحمد الله عليها ، ويرجوه المزيد منها ، ويتذكر سيئاته فيندم عليها ويقلع عنها ، ويمحو آثارها بالطيبات» (٤)، وقد أمرنا الله بذكره «**واذكر ربك كثيراً**» (٥) ، حتى ان الصلاة نفسها وسيلة من وسائل ذكر الله(٦) بل ان للذكر فعلاً يوازي فعلها في محاربة الفحشاء والمنكر إن لم يكن أكثر «**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر**»(٧)، فالذكر يؤدي إلى الفلاح (٨) ويقي الانسان من عذاب النار (٩) كما يؤدي إلى الاطمئنان «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»(١٠) «ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا»(١١) .

١ ـ ص ٢٢٦ ج٤ موسوعة ، ٢ ـ المؤمنون ٦٠ ـ ٦١ ، ٣ الانفال ٢ ـ ٤ .

٤ ـ ص ١٤٥ ج١ موسوعة ، ٥ ـ آل عمران ٤١ ، وبمعناها الجمعة ١٠ ، البقرة ٢٠٠ ، النساء ١٠٣

٦ ـ طه ١٤ ، ٧ ـ العنكبوت ٤٥ ، ٨ ـ سورة الاعلى ، ٩ ـ آل عمران ١٩٠ ـ ٩١ ، ١٠ ـ الرعد ٢٨ ،

١١ ـ الجن ١٧ .

٩)ـ الاعتصام بالله: «الاعتصام: الاستمساك والتحصن بما يعصم ويمنع من المحذور والمخوف»[١]. «ومن يعتصم بالله فقد هُدي»[٢]، والاعتصام يؤدي إلى الصراط المستقيم[٣]، وقد اعتصم يوسف عليه السلام بربه[٤]، فحفظه الله.

وثانياً: سوف تجد الرسول «ص» نموذجاً حياً يشجع الارادة أو قدوة لمن أراد ربط ارادته بالايمان و «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»[٥].

فقال زلنبور: ولكن «ليس في الأخلاق من اقتداء»[٦]. كما يقول «كنط».

فقال الشيخ: ربما لأن «كنط» لم يجد القدوة الحسنة خاصة أن «شلومو» يضرب مثلاً على ذلك بـ «اوجست كونت» الفيلسوف والمشرع المشهور، فقد كان «يعيش لمدة طويلة على كتفي إحدى البغايا»[٧]، فهو عندها لا يستطيع أن يكون نموذجاً لأقواله، فكيف يكون قدوة للآخرين؟ أما إذا كان الاعتراض باسم الحرية فالتعميم المطلق عندها غير جائز لأن التقليد يختلف اختلافاً واضحاً عن معنى

١ ـ ص ٦٤ ج٤ موسوعة ٢ ـ آل عمران ١٠١، ٣ ـ النساء ١٧٥.

٤ ـ يوسف ٣٢، ٥ ـ الاحزاب ٢١، ٦ ـ ص ٦١ المبادىء الاساسية لميتافيزياء الاخلاق.

٧ ـ ص ١٧٢ علم الاجرام.

النموذج الذي يعني النموذج في **الامكانية** ولقد كان خلقه ص القرآن.

ـ ثالثاً: سوف تجد الفرائض والشعائر التي جل ما تسعى إليه ايجاد تلك الارادة التي تستطيع السير في دروب الفضيلة بسهولة ويسر، وسوف اعرض عليكم ـ مثلاً ـ فريضة الصلاة لبيان دورها كوازع في ايجاد الفعل الخلقي. ومن المعلوم باديء ذي بدء انها تؤدى خمسة مرات في اليوم والليلة وتكرارها هذا يولد عند المؤمن فضيلة الصبر والنظام، بل ان الله ساوى بين الصبر والصلاة في التغلب على صعاب الأمور(١)، وعلى المقيمين لها بذل أموالهم بكرم وسخاء(٢) سراً وعلانية (٣) ومطلوب منهم ألا يخشوا أحداً غير الله (٤) والحرص على أداء الصلوات والمحافظة عليها يؤدى إلى فضيلة حفظ الأمانات والعهود (٥) كما انها تخلص الانسان من الهلع والجزع والبخل (٦)والمصلون «**أمرهم شورى بينهم**» (٧)، وبالاجمال «**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**»(٨). أما إذا انفصل مقيم الصلاة عما تأمر به، أي لم تؤدِ به إلى العمل الصالح فانه عندها ـ كما يقول الرسول ـ «كمن لا

---

١ ـ البقرة ٤٥ - ١٥٣ ، ٢ ـ ابراهيم ٣١ ، ٣ ـ فاطر ٢٩ ، الشورى ٣٨

٤ ـ التوبة ١٨ ٥ ـ المؤمنون ٨ ـ ٩ ، ٦ ـ الحاقة ١٩ ـ ٢٣.

٧ ـ الشورى ٣٨ ، ٨ ـ العنكبوت ٤٥ .

صلاة له» ولقد قال عز وجل : « **فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين** هم يراءون، ويمنعون الماعون»(١). والمعري يقول من وحي ذلك التلازم :

«إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها   فتاركها عمداً إلى الله أقرب»(٢).

- ورابعاً : سوف تجد تصويراً لدور الملائكة المتأهبين لكتابة ما يمليه عليهم الانسان من أعماله صغيرها وكبيرها، حتى نواياه، يقول عز وجل : « **له معقبات من بين يديه ومن خلفه** »(٣). « **عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** »(٤). «**وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون**»(٥)، وما يمليه عليهم سيكون كتاباً « **وعندنا كتاب حفيظ** »(٦). وتبياناً لذلك كله بالارادة تفكروا في قوله عز وجل : «فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله»(٧). لتروا كيف يكون تجاوز أخلاق الفرصة التي تخلو من الرقيب البشري، وهل من رجل أو امرأة يخلو من تلك الفرص؟ واسمعوا معي هذه القصة لتعقلوا منها العبرة، فقد «رأى بعض الزهاد صوفياً يضحك إلى غلام جميل فقال له : يا خرب القلب ويا خرب

١ - الماعون ٤ - ٧ ، ٢ - ص ٥٩٩ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية .

٣ - الرعد ١١ ، ٤ - ق ١٧ - ١٧ . ٥ - الانفطار ١٠ - ١٢ .

٦ - ق ٤ ، ٧ - النساء ٣٤ .

الطرف، أما تستحي من كرام كاتبين، **وملائكة حافظين**، يحفظون الأفعال ويكتبون الأعمال، وينظرون إليك، ويشهدون عليك» [1].

ـ وخامساً: ستجد بعض الجزاء والثواب في الحياة الدنيا وازعاً في بعد الارادة عن الشر، يقول تعالى: « **للذين أحسنوا في هذه الدار حسنة** » [2]، «**ولنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر** » [3].

« **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب** » [4]، «**ان الله يدافع عن الذين آمنوا**» [5]. وهو «**مع المؤمنين**» [6]. ووليهم وهو مع المتقين [7] و «**مع الصابرين**» [8] ويرشدهم إلى سواء السبيل» [9]، «**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**» [10] و « **يصلح لكم أعمالكم** » [11] « **ويجعل لكم نوراً تمشون به** » [12]. كما انه يحب المؤمنين و « **يحب المحسنين** » [13]، « **ويحب المقسطين** » [14] و «يحب **المتقين**» [15] و « **يحب التوابين ويحب المتطهرين** » [16] « **ويحب المتوكلين** » [17] والصابرين «**عليهم صلوات من ربهم ورحمة** » [18].

---

١ ـ ص ١٧٦ ج ٢ التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق، ٢ ـ الزمر ١٠، ٣ ـ النحل ٤١، ٤ ـ الطلاق ٢ ـ ٣، ٥ ـ الطلاق ٤، ٦ ـ الحج ٣٨، ٧ ـ الانفال ١٩، ٨ ـ محمد ١١، آل عمران ٦٨، ٩ ـ البقرة ١٦٤، ١٠ ـ البقرة ١٥٢، ١١ ـ العنكبوت ٦٩، ١٢ ـ التغابن ١١، ١٣ ـ الاحزاب ٧١، ١٤ ـ الحديد ٢٨، ١٥ ـ البقرة ١٩٣، ١٦ ـ المائدة ٤٢، ١٧ ـ آل عمران ٣١، ١٨ ـ البقرة ١٥٧.

وبالمقابل فانه « **لا يحب المعتدين** »[1] ، ولا « **المفسدين** »[2] ولا « **الظالمين** »[3] ولا « **المسرفين** »[4] « **وان الله مخزي الكافرين** »[5] و « **الفاسقين** »[6] « **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب** »[7] .

ـ وسادساً : ستجد صورتي النعيم والجحيم .

وقبل أن يتم كلامه قال راوي : معذرة أيها الشيخ ، ولكني أرغب في معرفة الدروب أو الكيفية التي يتم بها علاج الضمير حتى لا يموت أو يمرض ، قبل أن أنسى ذلك ، خاصة انك لم تقل بوجود العصمة في احكامه؟ .

فقال الشيخ : اعلم يا بني ان الانسان قد يخطىء ، ويخطىء أخرى ، وقد يعتاد على الخطأ ، والبعض قد يتحجر عند خطيئة خدثت ، فيجلس الدهر كله يندب ما حدث ، والاسلام يرفض اعتياد الشر كما يرفض اليأس والقنوط ، وذلك رفض لارتباط احكام الضمير بالخطأ كما هو رفض لتأنيبه المستمر على ما مضى ، لأنه في كلا الحالين يجُبّ الارادة عن الاتجاه نحو فعل الأفضل ، ومن أجل

١ ـ البقرة ١٩٠ ، ٢ ـ البقرة ٢٠٥ ، ٣ ـ آل عمران ٥٧ ،
٤ ـ الانعام ١٤١ ، ٥ ـ التوبة ٢ ، ٦ ـ الحشر ٥ ، ٧ ـ البقرة ٨٥ .

تحرر الارادة من سلبيات الضمير هذه، أو من أجل توفير الصحة التامة له قال الله عز وجل بفضائل عديدة تستطيع القيام بتلك المهمة، منها:

١ـ الإنابة: أي الرجوع إلى الله بالاستغفار والتوبة يقول عز وجل: «وانيبوا إلى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون»[١].

٢ـ التأويب: «وقيل الأواب كالتواب»[٢]، قال سبحانه وتعالى: «**فإنه كان للأوابين غفورا**»[٣].

٣ـ الصفح والعفو: «**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**»[٤].

٤ـ العفو المغفرة: «**إن الله كان عفواً غفورا**»[٥]«**وان تعفوا أقرب للتقوى**»[٦].

٥ـ التوبة: «**ا ن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**»[٧] ويبدل سيئاتهم حسنات[٨]، ويدخلهم الجنة[٩]، «**قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً**

١ـ الزمر ٨ـ٥٤، غافر ١٣، ق ٣٣، ٢ـ ص ١٩٥ ج٥ موسوعة ٣ـ الاسراء ٢٥ ص ١٧ـ٣٠ق ٣٢.
٤ـ النور ٢٢، التغابن ١٤، المائدة١٣، البقرة١٠٩، الحجر ٨٥. ٥ـ النساء ٤٣، ٩٩، ١٠٠، الحج ٦٠، المجادلة ٢. ٦ـ البقرة ٢٣٧، الشورى ٤٠، آل عمران ١٣٣. ٧ـ البقرة ٢٢٢، ٨ـ الفرقان ٧٠
٩ـ مريم ٦٠.

انه هو الغفور الرحيم»[1] .

ومن ملاحظة هذه القيم يتضح انه يجب على الانسان أن يساعد أخاه المريض في التخلص مما به، فعلينا أن نصفح ونعفوا ونغفر وبذلك نقترب من صفات الله «**ولله المثل الأعلى**».

ـ الأديان والأخلاق:

فقال راوي : نعم، قد أجد شيئاً حسناً فيما قلت، ولكن عدم تعرفي لما هو محكم ومؤول يدفعني إلى التمسك بتلك النكتة التي تقبع في قلبي وهي تقول : ان الدين بشكل عام والأخلاق لا يجتمعان خاصة إذا قلنا أن الأخلاق والعقل لا بد من وجودهما لبناء المجتمع السليم، ومن المعلوم للجميع أن ايمانيات الأديان كلها تتجوهر حول تحقيق العدل المطلق، ولكن لو تأملنا في بنيتها لوجدناها بعيدة كل البعد حتى عن تحقيق أبسط مكونات العدالة، فاليهود كما يزعمون هم «**شعب الله المختار**» و «**العهد القديم**» على لسان «يهوه» الرب يقول : «**أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب على وجه الأرض**»[2] كما يقول : « **مباركاً تكون فوق جميع الشعوب** »[3] بل

١ ـ الزمر ٥٣ ٢ ـ تثنية ٧ : ٦ ٣ ـ تثنية ٧ : ١٤ .

وأكثر من ذلك لأنه يجب أن «**يقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما انتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون**» (١)، ولم لا إذا كان الشعب اليهودي ينتسب بالبنوة إلى الله» (٢)، أما علاقتهم بغيرهم من خلال القانون، فالقانون لديهم يقول: ان التعامل بالربا لا يجوز إلا مع الأغراب فقط (٣)، كما لا يجوز اتخاذ اليهودي عبداً لليهودي» (٤)، وللحفاظ على تلك الأنا قالوا: « **فم الاجنبيات هوة عميقة ممقوت الرب يسقط فيها**» (٥)(٦). وبالمختصر فاليهودية كرست القانون وكل ما آمنت به من أجل الأنا التي لا يمكن للأخلاق أن تستقيم بوجودها.

أما المسيحية فقد رفضت وجود القانون بين الناس بكافة أشكاله على الاطلاق، ورفعت وجوده إلى السماء فقط، والمسيح يقول: «قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم. من قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم» (٦)، فالأخلاق هي القانون وحده، ولا بأس أن يكون الانسان مظلوماً،

---

١ ـ اشعيا ٦ : ٥ ـ ٦، ٢ ـ أمثال ٣٠ : ٣ . تثنية ٣٢ : ٥، ٩، ٢٠ . ١٤٠ : ١ أيام الأول ٢٩ : ١ . مزامير ١ : ٧ ـ ٨ . اشعيا ٦٣ : ١٥ ـ ١٦، ٣ ـ خروج ٢٢ : ٢٥ ـ ٢٧، ٤ ـ لاديون ٢٥ : ٤٤ ـ ٤٦، ٥ ـ امثال سليمان ٢٢ : ١٤، ٦ ـ متى ٥ : ٢١ ـ ٢٢ .

لأن الظلم هو في مقاومة الشر «فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً» (١)، أما الشر فهو الاهتمام بالحياة «أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون» (٢)، «فلا تهتموا للغد» (٣)، ومن العدل أن تهجروا الأموال (٤)، وألا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً (٥)، ولب العدل ومخ العبادة أن تصبحوا خصياناً (٦)، «فحسن للرجل أن لا يلمس امرأة» (٧)، ومن الظلم أن تملكوا أسلحة للحرب «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون» (٨)، «اعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (٩). وبذلك لم يعد بالفعل من حاجة للقانون، ولكم نتمنى عدم حاجتنا إليه، بشرط ألا نزول بزواله، وهكذا، فاليهودية سخَّرت الايمان من أجل القانون الذي مثّل رغبتها والمسيحية تبنَّت ربط الايمان بالأخلاق دون القانون، فلا الأخلاق وجدت عند اليهود ولا القانون وجد بالمسيحية، ولو قالت اليهودية بنبوة «عيسى» أو قالت المسيحية بأنها وجدت من أجل اصلاح اليهود لهان الأمر.

١ـ متى ٥ : ٣٩ـ٤٠ ، ٢ـ متى ٦ : ٥ ٣ـ ، ٣ـ متى ٦ : ٣٤ ، ٤ـ لوقا ١٤ : ٣٣.
٥ـ متى ١٠ : ٩ ، ٦ـ متى ١٩ : ١٢ ، ٧ـ كورنثوس ١ ـ ٧ : ١ ، ٨ـ كورنثوس ٢ـ١٠ : ٤

فالدين كما رأينا يأخذ بالظلم على انه العدل وكذلك يرفض مالابد منه من أجل بقاء المجتمع .

وعندما قال الشيخ : ان الاسلام ليس كذلك . قال زلنبور : وبأي شيء ستدحض الصوفيين الذين عندكم إذن؟ أليسوا من دعاة القضاء على القانون أو التشريع والتخلي عن الدنيا وما فيها؟ أم سوف تزعم انهم ليسوا من المسلمين ؟! وأردف قائلاً ودون أن يسمح لأحد بالكلام : واعلم ياراوي أن المسيحية هي الأخرى تؤيد رأيي في جانب عظيم منها لو نظرت في وجهها الآخر لأنه من المحال على الأنا أن تزول من صدر الانسان ، و «بولس» ذلك الحاخام اليهودي بالأصل ومؤسس المسيحية وناشرها بين غير اليهود يقول : **«كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق»**[1] ، والمسيح كما يذكرون يقول لتلميذه «بطرس» : **« فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات»**[2]، وما هي الأنا إن لم تصبح معياراً للخير والشر دون محاكمة من أحد و« بولس» يقول : **« كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله . فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً»**[3].

١ ـ كورنثوس ١ ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ ، رومية ١٤ : ١٤ , ٢ ـ متى ١٦ : ١٨ ـ ١٩ ، ١٨ : ٨ ـ ٢٠

٣ ـ رومية ١٤ : ١٢ ـ ١٣

والمحبة التي يقول بها مشروطة، **فهو يدعو لها إلى حين تتاح له** فرصة الانتقام[١] بل وأكثر من ذلك يقول: « **فإن جاع عدوك فاطعمه وإن عطش فاسقه لانك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه**»[٢].

وعليه فالايمان الذي رأيته ياراوي ها هو يرفض القانون من أجل الأنا، فالايمان يحقق للانسان ما هو بحاجة له، وكل كائن كما هو معروف يطلب القيمة لنفسه.

فقال راوي: ليس مهماً عندى الخروج عن محور حديثنا، ولنعد إلى ماكنا عليه. وقبل أن يتم كلامه قال زلنبور: نعم واني أرى انه ليس من العدل انتساب بعض الشعوب أو الأفراد إلى الله بالبنوة دون غيرهم، واليهودية تقول بأن «اسرائيل» أو «يعقوب» هو ابن الله البكر[٣] و«يهوه» يقول عن سليمان: « **أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً**»[٤] وابنه هذا موجود منذ الأزل، قبل وجود الطين، وقبل خلق السموات والأرض ليلتذ به الله أما هو فيتلذذ في بني آدم[٥] و «نيتشه» أدرك هذا الظلم فهب لاستنكاره وهو يقول: « **لو كان هنالك أرباب أكنت أتحمّل أن لا أكون رباً إذن ليس في الكون أرباب**»[٦].

---

١ ـ كورنثوس ٢ ١٠ : ٦، ٢ـ رومية ١٢ : ٢٠

٣ـ خروج ٤ : ٢٢. ٤ ـ صموئيل ٧ : ١٤. الأيام الأول ١٧ : ١٢ ـ ١٣، ٢٢ : ١٠. مزامير ٨٩ : ٢٦ ـ ٢٧.

٥ ـ أمثال ٨ : ٢٢ ـ ٣١. ٦ ـ ص ١١٢ هكذا تكلم زرادشت

و «كنط» يرى أن «**الركـوع أو السـجـود على الأرض . . يتنافى مع الكرامة الانسانية كالصلاة أمام الصور لأنك لا تذل نفسك أمام مثل أعلى يصوره لك عقلك، بل أمام صنم هو من صنع يديك**»(١) . أم أنه ليس من الظلم والإهانة تقييم الناس إلى مؤمنين وكفرة؟

أما من ناحية انفصال الدين عن العلاقات الدنيوية فقد «أعلن دوركهايم» عن حتمية الاستقلا ل الكامل والفصل التام بين الأخلاق والدين بحجة أن أهم ما تتصف به أخلاق الشعوب البدائية لا تتعلق بصلة الفرد البدائي بالآخر ولكنها جميعاً تفسر علاقة البدائي وواجباته نحو الآلهة»(٢) فأكثر الواجبات وأهمها ـ كما يقول ـ ليست تلك التي تنظم علاقة الانسان بغيره ممن حوله ولكنها واجبات نحو لآلهة فقط»(٣) . و «وليم جيمس» لم يستطع فهم الدين إلا على هذه الطبيعة حتى قال: «**ان الأديان تقوم في أساسها على أداء طقوس مفروضة سواء أكانت تقديم قرابين أم ضحايا أم عبادات وصلوات**»(٤)، و «لا فل» يرى هو الآخر أن القيم الأخلاقية «**تتمتع بضرب من**

١ـ ص ١٩٧ الاخلاق عند كنت ، ٢ ـ ص ١٢ علم الاجتماع ، الفلسفة ـ الاخلاق والدين.

٣ـ ص ١٤٧ الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع .

٤ ـ ص ٢٩١ الفلسفة الأخلاقية، العقليون ـ الذوقيو ن .

الامتياز على القيم الدينية التي تدعو في أحوال كثيرة إلى الانسحاب من العالم إلى عالم آخر يتجاوزه»[1]. أما «لوسن» فينعت طبيعة الدين هذه بالجبن الذي «**يتجلى عندما ينفصل الدين عن الأخلاق وينتهي إلى حرمان الانسان من الاهتمام بعالمنا، ويحمل المرء على الفرار من الواجبات الملقاة على عاتقه**»[2].

وعندما همَّ الشيخ بالكلام سبقه راوي وقال: وليس هذا فحسب، فهنالك ايضاً الطاعة العمياء التي تعد من مبادىء الدين التي لا غنى له عنها، «**فالخضوع للتقاليد أو العادات وإلى تجارب الماضي مهما بلغ سموها لا يضفي على السلوك صفته الخلقية وحينئذ لا يمكن أن تصدر الأخلاق أو تستمد من التبعية للسلطة.. أو الطاعة السلبية للتعاليم الدينية**»[3]، و «كنط» من ناحية أخرى أراد عزل الدين عن الاخلاق بحجة أن الدين لا قيام له إلا على الخوف والرجاء، وله في ذلك كل الحق بما أن الخوف يزهق حرية الارادة والرجاء الذي يعني الثمن المُحطِّم للمعنى الخلقي، وناهيك عن ذلك كله تعال معي لننظر في خلقيات الأنبياء لنرى إن كان بالامكان احترامهم من الناحية الخلقية

١ـ ص ٢٢٠ القيمة الأخلاقية. ٢ـ ص ٢٧٦ نفسه.

٣ـ ص ٩٦ الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع.

أم لا؟! فابراهيم كما يروي «العهد القديم» قد استغل جمال زوجه مرتين في سبيل أغراضه: مرة مع «أبي مالك» ومرة أخرى مع فرعون مصر[١] ويعقوب تزوج الاختين وجمع بينهما وهو زواج محظور في شريعتهم[٢] و «لوط» زنى بابنتيه وحبلتا منه [٣] وليس هذا هو كل شيء فهنالك أشياء وأشياء كثيرة يندى لها الجبين خجلاً وحياءً، وهل يمكن أن يكون هؤلاء الأنبياء قدوة وأئمة في سلوكهم لباقي الناس؟!

أما بالنسبة لعلاقة الدين والعقل فالمأساة عظيمة والمصير بشع إذا ما أخذنا بما يقوله الدين الذي يزعم بأن وجود «آدم» أصل النوع الانساني لم يتجاوز «**٣٧ قرناً قبل المسيح**»[٤]، وعندما وجد «نيتشه» أن هذا الاعتقاد استمر حتى بعد ثبوت تجربة العقل التي تنفيه قال: «ان الله عبارة عن ايمان ينكسر به كل خط مستقيم ويميد عنده كل قائم»[٥] و «**اختلال العقل ـ هو ـ بمثابة الشيء الالهي**» [٦]، فهل تريدنا أيها الشيخ أن نعود تارة أخرى إلى الدين؟ لقد انتصرت الأخلاق عندما استطاعت التحرر من الخرافة و «من الذي حقق النصر إذن على

١ ـ تكوين ١٢ : ١٠ ـ ٢٠، ٢ ـ تكوين ٢٩ : ٣٤.

٣ ـ تكوين ١٩ : ٣٠ ـ ٣٦، ٤ ـ ص ١٢ دراسة الكتب المقدسة

٥ ـ ص ١١٢ هكذا تكلم زرادشت.

٦ ـ ص ١١٢ أصل الاخلاق، فصلها.

الإله ـ . انها الأخلاق» (١). التي قال بها . وهكذا كان على الديانة «بما هي أخلاق أن تسعى إلى حتفها»(٢)، ولا بد من البديل الذي يجب أن «يحقق في حياة الانسان جميع الوظائف الضرورية أو النافعة التي كان الدين يحققها حتى الآن»(٣) .

فقهقه زلنبور وقال: ام سوف ترى يا شيخنا أن «فقدان الرغبة الجنسية فقداناً تاماً ـ يسمى ـ فضيلة» (٤) . ؟ أم من الفضيلة ايجاد الجبان، هذا الزاهد الذي يعزل نفسه عن خضم الحياة؟ فاعلم أن هؤلاء كما قال «نيتشه» ليسوا إلا «الحشرات الطفيلية» (٥) وإنسان الدين هذا ليس إلا «إنسان الحشرة المنحطة»(٦) الذي لا يصلح أن يكون إلا «دابة للركوب» (٧) .

فقال الشيخ: في البدء علي أن أنوه إلى أمرين: أولاهما أن هنالك أديان وليس دين واحد، ولكل منهم طبيعته التي تخصه دون غيره، فإذا كانت اليهودية قد تجوهرت حول الوعد والاستيلاء على الأرض، وإذا كانت المسيحية قد تجوهرت حول الصليب، فإن

---

١ ـ ص ١٥٤ نفسه .

٢ ـ ص ١٥٥ نفسه ، ٣ ص ١٣٢ العلم والدين في الفلسفة المعاصرة .

٤ ـ ص ١٦٧ مدخل إلى علم الاخلاق ، ٥ ـ ص ٣٥ أصل الاخلاق وفصلها .

٦ ـ ص ٣٨ نفسه ، ٧ ـ ص ٣٣ نفسه .

الاسلام قد تجوهر حول العمل الصالح أم أنكما لا تريان هذا التمييز ذا بال!؟. أما الأمر الثاني فهو اعترافي لكم بالعجز في تحديد إذا ما، كنتم ذوي ذاكرة سيئة أم انه لا ذاكراة عندكم إلا من اهوائكم؟! وانه لأمر محير حقاً! وكيف لكم بعد الذي ذكرناه اتهام الاسلام بما ليس فيه، واعلما أن الله لا يقول بوجود أبناء له من البشر أو سواهم، ولا يقول بوجود الشركاء تحت أي شكل من الاشكال. وإن اردتم التعرف إلى سير الأنبياء الصحيحة خلقياً فاقرأوا القرآن، وليس ذلك بالأمر العسير، ومن الفضيلة ألا يحكم المرء على ما يجهل، ولو قرأتموه لعرفتم أنه ليس من كتاب ذكر العقل وربطه بالفعل أو التجربة كالقرآن. أما أن الاسلام يهين الانسان ويظلمه لأخذه بمعادلة تمييز البشر إلى مؤمنين وكفرة، فاعلما أن هذا التمييز ليس إلا تمييزاً بين العاقل واللاعاقل أو الأخلاق واللاأخلاق، وقد مرَّ معنا بعضاً من مميزات شخصية المؤمن، وقد رأيتم ضرورة ارتباطها بالعمل الصالح، أما الكافرون فهم الذين تركوا عقولهم بعيداً عن استعمالها الصحيح انهم يعلمون الناس السحر(1) وهم المقلدون (2) بل حتى المنفعة لا ترتبط عندهم بعقولهم (3) كما يستعملون أساليب

١ـ البقرة ١٠٢ ، ٢ـ البقرة ١٧١، المائدة ١٠٤.

٣ـ الفرقان ٥٥.

غير مشروعة ولا معقولة في نقاشهم الأمور كاللغو بغية الغلب الغلبة (١) والهزء هرباً من ضغط اليقين (٢) لأنهم لا يخضعون للحق ويفضلون العناد وهو أسلوبهم المفضل(٣) الكافر هو من كانت أهواؤه وما يحبه ويرضاه ميزاناً للقيم الخلقية واليقين العقلي دون أن يأبه بأي معايير أخرى خلقية أو عقلية(٤) والأقوياء في موازينه هم الذين يملكون الحق دائماً دون الضعفاء الذين برأيه لا اجتماع لهم مع الحقيقة (٥) الكافرون لا يثقون بالانسان، فلا قيمة له عندهم، بل ويزعمون بوجوب كون الرسل والأنبياء من الملائكة (٦) وما علموا أن الملائكة سجدت لآدم عليه السلام !!. إن اكثرهم من الأغنياء(٧) خاصة «**الذين لا ينفقون إلا وهم كارهون**»(٨). ولا شيء يوازي حبهم للدنيا وللذات، حتى أصبحو كالدواب «يأكلون كما تأكل الأنعام»(٩) وكأن الطعام والشراب رسالتهم ومثلهم الأعلى الملائم لهذه الحياة التي لا شيء وراءها برأيهم. الكافرون يرضون بالإهانة حتى عبدوا أمثالهم

١ـ فصلت ٢٦ ، ٢ـ الكهف/ ٥٦ الاعراف ٥١ ، البقرة ٢١٢ .
٣ـ الحجر ١٤ـ١٥، هود/ ٧ ، البقرة ٦ ، الانعام/٧ ١١ المائدة٢٥ .
٤ـ الفرقان ٤٤ ، القصص/ ٥٠ . ٥ـ الشعراء/ ١١١ . هود ٢٧/ ٩١، الفرقان ٧ـ٨ .
٦ـ الاسراء ٩٤ ، ابراهيم ١٠، المؤمنون ٢٤/ ٣٣ الفرقان٧ـ٨، هود ٢٧
٧ـ الأحزاب ٦٧ ، سبأ ٣٤ ٨ـ التوبة ٥٤ . ٩ـ محمد ١٢ ، الفرقان ٤٤ ، البقرة ٢١٢ .

من البشر (١) بل وأهانوا عقولهم عندما ساووا **ما** بين الواحد والثلاثة (٢)، ومن أهم صفاتهم الخلقية التي تميزهم عن غيرهم تباهيهم بالفاحشة(٣)، وتمسكهم بالحمية والعصبية والعنصرية(٤)، وتمنيهم زوال النعم عن الغير فهم حسودون (٥)، وظالمون (٦)، ولا يبغونها إلا عوجا(٧)، بل وكذابون(٨)، ولا يعرفون وفاءً للعهود(٩)، متكبرون (١٠)، على غيرهم من الناس «**وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**»(١١)، ولم لا تؤمن ياراوي من أجل الأخلاق على الأقل؟

فقال راوي : ان اجتمع ذلك كله فيما تسميه الكافر فإنه عندها لن يكون إلا كتلة من النجاسة .

فقال الشيخ : صدقت فقد قال عز وجل : « **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس**» (١٢)، أما بالنسبة لانسحاب الدين نحو السماء، والتحلل من القانون فاعلم يازلنبور أن ذلك ليس سمة للإسلام،

---

١ ـ المائدة / ١٧ / ٧٢، ٢ ـ المائدة/ ٧٣ ، ٣ ـ المائدة / ٧٩ ، ٤ ـ الفتح / ٢٦ .

٥ ـ البقرة / ١٠٩ ، ٦ ـ البقرة / ١٠٨ / ٢٥٤، آل عمران / ٢١

٧ ـ ابراهيم / ٣، هود / ١٩ ،

٨ ـ آل عمران / ١٦٠٦ الاسراء / ٩٤ ، العنكبوت / ١٢ ، البقرة / ١٥٩، المائدة / ١٠٣ .

٩ ـ آل عمران / ٨٦ / ٩٠ ، الأعراف / ١٠٢ ، الأنفال / ٥٦

١٠ ـ النحل / ٢٢ ، البقرة / ٣٤، الاعراف ٧٦ ، الصافات ٣١ .

١١ ـ المؤمنون / ٧٤ . ١٢ ـ التوبة ٢٨

واحتجاجك بالتصوف مردود عليك لأن المتصوفة ليسوا معياراً للمسلمين بما إن القرآن هو المعيار الذي يوزن به هؤلاء أو كل ذي رأي وبدعة، وقد قال القرآن بفضائل عديدة وكثيرة لا يمكن وجودها إلا إذا كان المؤمن بها ذا وجود وعلاقة مع الناس منها:

١) ـ الهجرة : يقول تعالى : «**والرجز فاهجر**» (١).

٢) ـ التياسر : يقول تعالى : «**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**» (٢).

٣) ـ المودة : يقول تعالى : «**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً**» (٣).

٤) التواصي بالخير يقول تعالى : «**والعصر إن الانسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**» (٤).

٥) ـ العزيمة : يقول تعالى : « **وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**» (٥).

٦) ـ النهي عن المنكر : قال تعالى : «**وامر بالمعروف وانه عن المنكر**» (٦)

---

١ ـ المدثر ٥ العنكبوت ٢٦ ، المزمل ١٠ . ٢ ـ البقرة ٢٨٠ ، ٣ ـ مريم ٩٦ .

٤ ـ سورة العصر . ٥. آل عمران / ١٥٩ ، لقمان / ١٧ ، ٦ ـ لقمان / ١٧ ، آل عمران / ١١٤ .

٧) ـ المجاهدة : قال تعالى : «**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون**»[١] .

٨) ـ التواضع : قال تعالى : «**ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**»[٢] «**أليس في جهنم مثوى للمتكبرين**» «**واقصد في مشيك**»[٣] .

٩ ـ المصاحبة بالمعروف وطيب الكلام : يقول تعالى : «**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذىً**»[٤] . «**وقل لعبادي يقولوا التي احسن**»[٥] «**وقولوا للناس حسنى**»[٦] ، .

١٠ ـ التعامل بالأحسن : قال تعالى : «**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**»[٧] .

١١ ـ الستر : يقول تعالى : «**إن تبدوا الصدقات فنعماً هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**»[٨] .

---

١ ـ التوبة ٢٠ ، ٢ ـ الاسراء ٣٧ ، ٣ ـ لقمان ١٩ ،

٤ ـ البقرة ٢٦٣ ، ٥ ـ الاسراء ٥٣ ، ٦ ـ البقرة ٨٣ ، فاطر ١٠ ، الاحزاب ٧٠ ـ ٧١

٧ ـ فصلت ٣٤ ، الشورى ٤٠ ، ٨ ـ البقرة ٢٧١ .

١٢ ـ تبين الأمور : يقول تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»(١) .

١٣) ـ خفض الجناح : يقول تعالى : **«واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا» (٢) .**

١٤) ـ اعداد القوة : يقول تعالى : **«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل»(٣) .**

١٥) ـ غض البصر والصوت : قال تعالى : **«قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن»(٤) . «واغضض من صوتك، ان انكر الأصوات لصوت الحمير»(٥) .**

١٦ ـ التوسط : يقول تعالى : **«ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» .**

١٧ ـ الأمانة : يقول تعالى : **«ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»(٦) .**

---

١ ـ النساء ٤٩ ، ٢ ـ الاسراء ٢٣ ـ ٢٤ . ٣ ـ الانفال ٦٠

٤ ـ النور ٣٠ ـ ٣١ ، ٥ ـ لقمان ١٩ ، ٦ ـ النساء ٥٨ ، البقرة ٢٨٣ ، المؤمنون ٨ .

١٨)ـ الاحسان : قال تعالى : « **واحسن كما أحسن الله إليك** »

١٩)ـ المسارعة للخيرات : قال تعالى : «**فاستبقوا الخيرات**»[١] .

٢٠)ـ البر : البر هو من «**أتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وأتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرون في البأساء والضراء، وفي البأس، أولئك الذين صدقوا وأؤلئك هم المتقون**»[٢] .

٢١)ـ الصبر والشجاعة : يقول تعالى : «**واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**»[٣] .

٢٢)ـ الايثار : قال تعالى: «**ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأؤلئك هم المفلحون**»[٤] .

٢٣)ـ الصدق : قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**»[٥] .

٢٤)ـ الاستئذان: قال تعالى : «**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**»[٦] .

٢٥)ـ التعاون : قال عز وجل : «**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**»[٧] .

١ ـ البقرة / ١٤٨، المؤمنون / ٥٧ـ٦١ . ٢ ـ البقرة / ١٧٧ ، ٣ـ آل عمران / ٢٠٠ .
٤ ـ الحشر / ٩ ، ٥ـ التوبة / ١٢٠ ، ٦ـ النور / ٢٧ . ٧ـ المائدة / ٢ .

٢٦)ـ الطاعـة : قـال تعـالى : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** »(١)، « **ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون** »(٢) . « **فلا تطع المكذبين** »(٣)، « **ولا تطع كل حلاف مهين** »(٤) .

٢٧)ـ مقاومة الهوى : قال تعالى : « **فلا تتبعوا الهوى** »(٥) .

٢٨)ـ اقامة العدل : يقول تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين** »(٦)، « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** »(٧) .

ومن هذا العرض السريع فإنه لا يسعنا إلا القول : بأن فصل القرآن عن الأخلاق لن يتم إلا باللاأخلاق فقط . أما بالنسبة لفكرة الواجب لذاته فلا أظن أنها قادرة على عقلنة الفعل الخلقي .

ـ الأخلاق والواجب لذاته :

فقال راوي : ولم لا تستطيع ؟ وانها لفكرة سامية تلك التي تحافظ على كرامة الانسان وتساعد القانون . وهل هنالك ما هو أسمى من

١ ـ النساء ٥٩ ، ٢ ـ الشعراء ١٥١ ٣ ـ القلم ٨ ، ٤ ـ القلم ١٠ .

٥ ـ النساء / ١٣٥ ، ٦ ـ النساء ١٣٥ ، المائدة ٢ / ٨ ، الانعام / ١٥٢ . المطففين / ١ـ٢ .

٧ ـ النحل / ٩٠ .

فك ارتباط الفعل الخلقي بالثمن، بل ان الفعل الخلقي كما قلنا سابقاً هو الفعل بلا أي رجاء أو مقابل من أي انسان.

فقال الشيخ : هذا صحيح، ولكن لا يجب بالمقابل ألآ نخسر العقل، أليس «كنط» هو القائل بأن الارادة لا تكون إرادة خلقية «اللهم إلا إذا كان في مقدورها أن تتحرر من القانون الطبيعي الذي يفترض أن لكل ظاهرة علة» (١).

وهل من المعقول قوله: «ان الدافع الذي يمنح فعلاً من الأفعال قيمة خلقية.. هو احترام القانون وحسب» (٢). ؟ فكيف يكون الاحترام مساوياً إلى اللاشيء وهو العلة الكافية في نفس الوقت!؟ وها هو «شوبنهور» يقول : «ان قول كنت بضرورة الخضوع للقانون احتراماً للقانون انما هو غير معقول، لأن العقل يلزمنا دائماً بالبحث عن «الحيثيات» ـ العلة ـ التي تسوغ للقانون أن يأمرنا» (٣) و «هنري برجسون» يقول : إذا كان «الواجب شكل آمر مطلق فإنه من المتعذر أن نجد في الحياة الواقعية أمثلة على مثل هذا الأمر، لئن كان الايعاز العسكري الذي لا يبرر ولا يرد عليه يقول : «يجب لأنه يجب» ،

١ ـ ص ١٨٨ كانت أو فلسفة النقدية .

٢ ـ ص ١٢٢ المبادىء الاساسية لميتافيزياء الأخلاق .

٣ ـ ص ١٩٢ كانت الفلسفة النقدية .

فليس في الامكان أن لا يلقى في روح الجندي سبب ما، وإلا لتخيل هو سبباً من عنده»(١).

وتعال الآن لننظر فيما إذا كان «كنط» نفسه يستطيع التحرر من فكرة الثمن أو العلة، فالمنفعة كما نعرف من العلل الخارجية التي تدمِّر فكرة الواجب لذاته، إلا أن المتأمل جيداً في أوامره الثلاث اللاشرطية سوف يجدها ذات صياغة مشروطة «ولنتساءل معه كمثل عن تلك الأوامر: لماذا لا أريد أن يتخلى الناس عن توفية ديونهم - السبب - هو انني نظرت إلى النتائج المادية فقدرتها، وفضلت الأمانة على عدم الأمانة قاعدة عامة لأنني لا أريد في نهاية المطاف الحاق الضرر بمصالحي الخاصة»(٢). لأنه إذا تم عدم الوفاء بالوعد من قبل كل الناس يقول: «أضحت الوعود نفسها وما تتضمنه من هدف محالة غير ممكنة، ذلك أنه لن يكون هناك من أحد يصدق وعداً من الوعود التي تقطع وإنما سيسخر كل أحد من هذه الأقاويل الكبيرة الفاسدة والدعاوي العريضة الباطلة»(٣)، وعند قراءة «شوبنهور» لكلمات «كنط» هذه رأيناه وقد ملأ فمه بسخرية خبيثة وهو يقول: «وكأن

---

١ - ص ٣١ منبعا الأخلاق والدين.

٢ - ص ١٢٧ - ١٢٨ مشكلة العمل.

٣ - ص ٨٧ - ٨٨ المبادىء الأساسية لميتافيزياء الأخلاق.

كـانت يقـول لنا : إذا أردت ألا يسيء إليك الآخـرون ، فـلا تسيء إليهم . وتبعـاً لذلك فإن الأخلاق إنما تقوم في هذه الحالة على مبدأ حب الذات »[1] . ومن نفس الملاحظة يقـول «بارتلمي سانتـهلير» : «وعلى ذلك يكون كنت من حيث لا يريد قـد جعل المنفعـة قـاعـدة للأدب»[2] أو الأخـلاق . بل ان «كنط» نفسـه يؤكـد تلك الملاحظات عندما يشرح لنا خسائر من لا يشارك الآخرين مصابهم قائلاً : «فقد يعرض للشخص ذي الارادة تلك حالة يحتاج فيها إلى محبة الآخرين ومودتهم فلا يجد في ذلك زبالاً ولا فتيلاً فيقعد ملوماً محروماً من كل أمل بمساعدة يتقدم بها إليه غيره»[3] . كما انه يذهب إلى أبعد من ذلك ، فمن المعلوم ان كل فلسفته في الأخلاق وأسس نظرية الواجب لديه تعتمد على الفصل الذي قـال به ما بين العـالم العقلي والعـالم الحسي ولهذا الفصل علته ولنستمع إليه ، يقـول : «ان فكرة عـالم عقلي خالص كعالم يضم بين طرفيه العقول جميعاً ، والذى نتعلق به بما نحن كـائنات عـاقلة . . . وإن كنا في الوقت نفسه أعضاء في عـالم الحواس أيضـاً . . لا تزال تقوم وتنتصب كفكرة نافعةومشروعة لما لها

١ ـ ص ١٩٤ كانت أو الفلسفة النقدية .

٢ ـ ص ١٠٩ علم الأخلاق إلى نيقوماخوس .

٣ ـ ص ٨٩ المبادىء الأساسية لميتافيزياء الأخلاق .

من وجوه تتفق فيها مع أهداف الايمان العقلي ويقينه»[1].

فقال زلنبور: إنها المنفعة، ومن المحال الانتصار عليها، وواهم من يفكر بزوالها من الانسان ولو استخدم كل ما يمكن أن يتوفَّر له من الحيل.

فقال الشيخ: إن التخلص من الثمن شيء حسن ولا بد من ذلك، وفكرة الواجب لذاته شيء عظيم، ولكن لو قدر لنا عقلنتها على الحقيقة. ومن المهم أيضاً أن نتخلص من فكرة اللاثمن التي قد تعني الشموخ والتعالي والشفقة أو لثمن بعد اللاثمن كالأفعال الدعائية وغير ذلك، أو من باب عدم الخسارة، ولا أظن أن كل الثمن أو العلة تشاريف وذهب وفضة.

فقال زلنبور: ولكن «الواجب من أجل الواجب» ليست من الأفكار الحديثة، فقد عرفت عند المسلمين، و«رابعة العدوية» تقول عن علاقتها مع الله: «ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته»[2]. بل لأنه يستحق العبادة، ، و«ابن مسكويه» يقول: «وآخر المراتب في الفضيلة أن تكون أفعال الانسان كلها أفعالاً إلهية وهذه الأفعال هي خير محض، والفعل إذا كان خيراً محضاً فليس يفعله فاعله من

---

١ ـ ص١٦٨ نفسه.

٢ ـ ص ٨٠ رابعة العدوية

أجل شيء آخر **غير الفعل نفسه. وذلك أن** الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها، أي هو الأمر المطلوب المقصود لذاته. . اعني ان يكون ما يفعله لا يطلب به حظاً ولا مجازاة ولا عوضاً ولا زيادة، لكن يكون فعله بعينه هو غرضه، أي ليس يفعل من أجل شيء آخر سوى ذات الفعل» (١).

فهز الشيخ رأسه ثم قال بعد أن تنهد بعمق وحرارة: لو علم هؤلاء وأمثالهم أو لو لم يتناسوا أن الانسان مكلف من قبل الله بين حدي الثواب والعقاب لما قالوا الذي قالوه، ولا أظنهم أرادوا نفي التكليف، ومعلوم ان الله عز وجل قد قسم الناس من حيث الثمن إلى قسمين لا ثالث لهما، فقال في الأول: «**فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق**» (٢) وعن القسم الثاني يقول: «**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**» (٣) وعند اجمال القسمين قال عز وجل: «**منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة**» (٤) وضرب لنا مثلاً عملياً بقوله: «**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً**

١ ـ ص ٩٢ تهذيب الاخلاق، ٢ ـ البقرة ٢٠٠

٣ ـ البقرة ٢٠٧، ٤ ـ آل عمران ١٥٢.

جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً» (1) وأعظم الأجر الحصول على مرضاة الله. والآن ألا تلاحظ معي ياراوي أن الحصول على الأجر في الحياة الآخرة هو المطلوب لتجاوز الأجر في الدنيا؟.

فقال راوي: نعم، نعم، هذا ما تقول به النصوص.

فقال الشيخ: والآن لننظر في نفي اللاثمن الذي من مترتباته المن والأذى والرياء، يقول تعالى: **«مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم. الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر»** (2). فالأجر في الآخرة يلغي كل مايعنيه الثمن واللاثمن في علاقتنا مع الناس، ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يمكن له التخلص من ذلك، وهذا قانون ينتمي إلى طبيعة العقل عند الانسان مادام العقل والعلة صنوان

---

١ ـ الاحزاب ٢٨ ـ ٢٩ ، ٢ ـ البقرة ٢٦١ ـ ٢٦٤ .

فعقلنة الواجب إذن تكون بوجود الأجر في الآخرة والكرم - مثلاً - يؤدي إلى الفقر في حساب العلل، أما العقلنة للكرم فيمكن قراءتها بقوله عز وجل: «**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**» (١)، كما يقول تعالى: «**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم**» (٢). فالمؤمن لم يحطم الأنا التي له عندما لم يأخذ أجره من الناس، بل بالعكس، فما فعله من أجل نفسه وإن استفاد من فعله الآخرون «**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**» (٣). «**وما تنفقوا من خير فلأنفسكم**» (٤)، «**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه**» (٥). «**ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه**» (٦)، وبالمقابل فإن الظلمة أو اللاخلقيون ذوي السلوك السيء «**أنفسهم يظلمون**» (٧)، «**وما يضلون إلا أنفسهم**» (٨). «**يعمل سوءاً أو يظلم نفسه**» (٩)، «**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**» (١٠). «**ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون**» (١١)، «**الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون**» (١٢).

---

١ - البقرة ٢٧٤، ٢ - البقرة ٢٦٨، ٣ - الاسراء ٧ . ٤ - البقرة ٢٨١، ٥ - العنكبوت ٦، ٦ - فاطر ١٨ .
٧ - آل عمران ١١٧ - الاعراف ١٦٠، ٨ - آل عمران ٦٩، ٩ - النساء ١١٠، ١٠ - الطلاق ١،
١١ - يونس ٤٤، النحل ٣٣، ١٢ الانعام ١٢ - ٢٠

وتأمل معي ياراوي هذا المثل المؤدي إلى المقارنة بين الأجر الدنيوي والأجر في الحياة الآخرة: فمن المعلوم أن للفعل أي فعل ثمن «**وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين، قال نعم وانكم لمن المقربين**»(١)، وعندما تمّت لهم تجربة الايمان «قالوا آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون»(٢) وأصبحوا يعلمون «**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**»(٣). عندها تحدوا فرعون الذي «**قال أمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علملكم السحر فلأقطعن أيديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وابقى، قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى**»(٤)، «**إنا إلى ربنا منقلبون**»(٥).

أليس عن أمثال هؤلاء الناس وإيجادهم يدور خلدك ياراوي؟.

فقال راوي: الحق، اني أشهد أن هؤلاء هم الصواب وهم الذين أبغي.

١-الاعراف ١١٣-١١٤، ٢-الشعراء ٤٩، ٣-التوبة ١١١.

٤-طه ٧١-٧٣، الشعراء ٤٩-٥١، ٥-الاعراف ١٢٥

فقال الشيخ : فليس الموت إذن نهاية الأمر ، فالأجر مؤجل لما بعده ، ولقد قال عز وجل : **«من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً»** (١) **«ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لكم ويغفر لكم والله شكور عليم»** (٢) ، كما قال : **«يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»** (٣) .

فالأجر عند المؤمن لا يرجى من أحد إلا الله ، ولقد قال «نوح» لقومه : **«فما سألتكم من أجر ان اجرى إلا على الله»** (٤) ، وكذلك قالها «هود» (٥) و «لوط» (٦) و «شعيب» (٧) والمؤمنون بالاجمال يقولون : **«انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا»** (٨) .

ولو تأملنا بكل ما سلف لما وجدنا إلى اللا أجر وجود ، وحتى الآيات التي وردت فيها معاني «الواجب» أو العمل «لوجه الله» أو «لمرضاة الله» أو «في سبيل الله» التي زعم البعض انها تلغيه فإننا نجدها جميعاً مقرونة بالأجر على الرغم من اختلاف الصيغ ، إن كان

---

١ ـ البقرة ٢٤٥ ، ٢ ـ التغابن ١٧ ، الحديد ١١ ـ ١٨ ، ٣ ـ الصف ١٠ ـ ١١ ،

٤ ـ يونس ٧٢ هود ٢٩ ، ، الشعراء ١٠٩

٥ ـ هود ٥١ ـ ١٤٥ ، الشعراء ١٢٧ ، ٦ ـ هود ١٦٤ ، ٧ ـ هود ١٨٠ ، ٨ ـ الدهر ٩ ـ ١٠ .

تحت معاني «الفلاح»[1] أو «ولسوف يرضى»[2] أو «أجره عند ربه»[3] أو «عاقبة الأمور»[4] أو «يوفَّ لكم»[5] أو «عقبى الدار»[6] أو «أجراً عظيماً»[7] أو «خير لكم»[8].

وفي الختام أقول: ان الواجب الذي قال به «كنط» لا محل له عند الإنسان، ومن السخف أن نقترح ايجاد انسان يختلف عن الانسان المُدرك لملاءمة أخلاق صورية نقول بها، والغريب أن قائلها هو الانسان نفسه! فالواجب في الاسلام ليس لذاته بل من أجل السعادة.

ـ السعادة والأخلاق:

وقبل أن يتم الشيخ كلامه قال راوي: انها السعادة، وفأل حسن أن ذكرها لسانك، فبها تتم عقلنة الفعل الخلقي، ولا أدري كيف نسيت ذلك، حتى كدت أفكر في استعارة القرآن لأقرأه، اني اشكرك جداً يا عزيزي، فقد انقذتني من التهور وعدم الروية، وهو درس لن أنساه. واعلم ان السعادة شيء عظيم، ولأهميتها اطلق الفلاسفة عليها اسماء عظيمة وكلها تشير إلى نبل غرضها وأهميتها، فهي «الغاية العظمى» و «الغاية القصوى» و «السعادة العظمى» و «السعادة

---

١ ـ الروم ٣٨ ـ ٣٩ . ٢ ـ الليل ١٨ ـ ٢١ ، ٣ ـ البقرة ١١٢ ، ٤ ـ لقمان ٢٢ .

٥ ـ البقرة ٢٧٢ ، ٦ ـ الرعد ٢٢ ، ٧ ـ النساء ٧٤ ـ ١١٤ ، البقرة ٢٦٢ ، ٨ ـ الصف ١١ .

القصوى» و «الخير المطلق» و «الخير الأعظم» و «الكمال الأعلى» و «الكمال الأسمى» و «الكمال البعيد». فالسعادة إذن هي علة السلوك الخلقي، وهي الثمن الذي ما بعده ثمن، ولقد قال «ارسطو» انها «غاية جميع الأعمال الممكنة»(١). و «الفارابي» يقول: انها «تُؤثَر لأجل ذاتها ولا تُؤثَر في وقت من الأوقات لأجل غيرها.. وإذا حصلت لنا لم نحتج إلى شيء آخر غيرها»(٢). والسعادة هذه يحصل عليها الانسان إما مكافأة كاتصاله بالملأ الأعلى، أو حالة في النفس تستطيع تجاوز كل شر ممكن وعندها «لا يضره في سعادته أن يكون سقيماً ناقص الأعضاء مبتلى بجميع أمراض البدن»(٣). والحكيم «غني حتى ولو كان شحاذاً، انه لا يعرف الألم ولا الأمل ولا الخوف - لا يتأثر بشيء ولا ينفعل بشيء»(٤).

فقهقه زلنبور وقال: ولكن لو فكرنا قليلاً في وجود فكرة السعادة لقلنا انها «ليست فكرة عقلية محضة، إنها مثل أعلى من ابداع الخيال وليست من صنع العقل»(٥). وهي بالأصل محاولة من محاولات الحرب الشعواء التي قام بها المأفونون على اللذة، ألم يقولوا على

١ - ل١ ب٤ ف٩ ، ٢ - ص ٢٥٠ - ٢٥١ الواجب السعادة ، ٣ - ص ٧٦ تهذيب الاخلاق .

٤ - ص ٢٥٧ - ٢٥٨ الاخلاق النظرية . ٥ - ص ١٣١ - ١٣٢ نفسه .

لسان «الفارابي» بأن السعادة لن تكون إلا بتحرر النفس من كل قيد يربطها بالبدن «بحيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة»[1] . ولننظر في طريق السعادة الذى رسمه لنا: انه الخلوات والرياضه التي هي «بأفعال ما إرادية بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية وليست بأي أفعال اتفقت»[2]. و «ابن سبعين» يرى أن كل من أهان نفسه بحرب اللذة، وقتل الشهوة فهو «سعيد وعلى طريق السعادة سالك»[3] ، وها هو صاحب «المعاذلة» ينصح بالهروب من البشر لفساد طبيعتهم قائلاً: «ايه يا نفس انه لو جرب شارب من الماء شربة واحدة لقد كانت تلك الشربة تقرر في نفسه المعرفة بطبيعة الماء كله»[4] .

و«ابن باجة»ينصح أصحابه بالعزلة حتى «يترعرعون كما يترعرع النبات في الهواء الطلق من غير حاجة إلى عناية بستاني يقوم بأمره»[5] . وما هي السعادة عندما يميت الانسان نفسه على طريقة هؤلاء!؟ يقول «ابن سينا» عندها «يستطيع ـ السعيد ـ أن يتصل بالعقل الفعال الذي يهدي النفوس العقلية إلى السر الإلهي والعلة الأولى»[6]

١ ـ ص ٢٥١ الواجب ـ السعادة ، ٢ص ١٠٥ ـ ١٠٦ آراء اهل المدينة الفاضلة

٣ ـ ص ٣٣٠ بد العارف ٤ ـ ص ٧٧ ـ ٧٨ الافلاطونية المحدثة عند العرب

٥ ـ ص ٣٢ تاريخ النظريات الأخلاقية . ٦ ـ ص ٣٢٥ الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية .

«تنكشف له جميع الحقائق التي ينال بها رياسة العالم وتدبره بل وملكه» (١). و «ابن باجة» يرى انه «إذا تم لطالب السعادة هذا كله صارت نفسه متهيئة لقبول الالهام من عل» (٢). «وبوصوله إلى هذه الدرجة يكون قد حقق الاتصال بالله كما يقول رجال الشرائع أو الاتصال بالعقل الفعال كما يقول الفلاسفة» (٣). و «ابن مسكويه» يرى أن «السعيد التام . . مقيم بروحانيته بين الملأ الأعلى» (٤). و «ابن رشد» يقول : «فالعلم وحده هو سبيل السعادة والاتصال بعالم العقول والأرواح» (٥).

ثم قهقه تارة أخرى وقال : ان الفيلسوف الصوفي «ابن سبعين» يعرض علينا واحدة من نتائج سعادته، فعند حديثه عن «برج الثور» ونظرته إلى علاقة الحاكم بالمحكوم، كموضوع سياسي يقول : «إذا كان الحاكم يريد أن يُخدم أمره يتخذ صورة ثور مضروب الوسط ويناديه «لهرلرل» ويبخر بذنب الفأرة ويفعل الأمور المهلكة بإذن الله ويقول في جمع خدمة «ياجمر لايل يا دبر لا يل ياجبر لايل» (٦).

وهل أنت الآخر ياراوي تريد أن تنتصر على الشعب أو «الثور»

---

١ ـ ص ٢٨٠ الواجب ـ السعادة . ٢ ـ ص ٣٧٥ الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية .

٣ ـ ص ٢٨٥ الواجب ـ السعادة ، ٤ ـ ص ٩٠ تهذيب الاخلاق ٥ ـ ص ٢٨٨ الواجب .

٦ ـ ص ٤٣٥ فلسفة ابن سبعين .

بأذناب الفئران؟! ونصيحتي إليك: دعك من الأخلاق كلية لأنها «لا تصلح أن تكون سلطاناً وازعاً للفعل» (١). بل على العكس فانها «من بين الأخطار جميعاً الخطر الذي لا ينازعه منازع» (٢). «والنظام الأخلاقي ينكشف أول ما ينكشف على انه وهن» (٣)

فقال الشيخ: الحقيقة اننا لو تأملنا في كل معاني السعادة وأشكالها تلك، لما وجدنا غايتها إلا إيجاد المجتمع الميت لأنها عندما حكَمت بالموت على الفرد فقد حكمت عندها على القانون نفسه بالموت وتصوروا إن شئتم مجتمعاً كل أعضائه من الصوفيين، عندها ستخرب أنوفكم من رائحة الانسان المتفسخ، وعيونكم ستفضل العمى عما تراه، وهب أن السعادة تلك هي نتائج الأفعال الصالحة فما هي نتائج الأفعال الشريرة إذن؟ وهل من سعادة تلك التي يجتمع فيها الخير والشر؟ خاصة إذا لم ننس اعتبارهم البدن من جنس الشر. ولقد قلنا أن قيمة الانسان غرض لا بد منه في المجال الخلقي، وقيمته يجب أن تكون إلى خير محض أو إلى شر محض وهنا تكون السعادة أو الشقاوة لأن الحكم عندها يكون على كافة أفعاله ولو بعد موته، انها الجنة أو النار. وفي القرآن الكريم **«ذكرت الجنة ذكراً في ١٩ آية**

١ ـ ص ٩١ العقيدة والأخلاق ، ٢ ـ ص ١١٥ أصل الاخلاق وفصلها.

٣ ـ ص ٦٣ القيمة الأخلاقية.

كما ذكرت النار في ٦١ آية »(١)

ان فصل الخير عن الشر يعد من بعض الوجوه وازعاً في تحرر الإرادة من مقارنة اجتماع خيرات الدنيا مع الشرير أو بالعكس، تلك المقارنة التي تؤدي بها إلى الفتور عن فعل الخير أو العمل الصالح «**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**» (٢) أي كما يقول «الطبري»: «**ان هذه الطيبات التي يشترك في الاستمتاع بها في الدنيا المؤمن والكافر هي خالصة للمؤمنين في الآخرة**» (٣)، كما هي خالصة عن أي شر يمازجها.

ان وجود الجنة والنار هو وجود للفصل النهائي بين الخير والشر «ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون» (٤)، انه الفصل بين السعداء والأشقياء «**يوم يأت لا تكلَّم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك**

١ ـ ص ٣٦٣ دستور الأخلاق في القرآن.

٢ ـ الأعراف / ٣٢ ، ٣ ـ ص ١٧٧ الواجب ـ السعادة

٤ ـ الأنفال / ٣٧ .

فعال لما يريد، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ»(١).

والقاعدة العامة الشاملة تقول: من سلك في درب الأعمال الصالحة والخيرة سيؤدي به إلى السعادة، ومن سلك في درب الأعمال الشريرة سيؤدي به إلى الجحيم فالخير يؤدي إلى الخير ابداً والشر يؤدي إلى الشر أبداً، وتلك قاعدة تشمل كل إنسان، وللإنسان أن يختار بين الجنة أو النار ولا مناص من ذلك بما أن إرادة الله معلومة للجميع، وما أرسل الله نبيه إلا بشيراً ونذيراً للناس كافة.

ـ الجامعة الانسانية:

فقال راوي: ولم لا نجعل المجتمع كل المجتمع أشبه بعائلة تآلفت على وحدة الدم والشعور؟ وعندها فإن جميع اعضائه ليسوا إلا اخوة متحابين، وهل يخون الأخ أخاه، أو يسرقه ويظلمه؟ حتماً لا، وما أحلاها من أخلاق عندما ترتبط القيم بأصل مشترك ينتمي إليه الجميع، والبدائي مثلاً أدرك ذلك فقال بالطوطم الذي يشد أعضاء القبيلة بعضهم إلى بعض، فمن يساعد الآخرين عندها كمن يساعد نفسه سواء بسواء، وكل الأفراد متساوون، فليس هنالك أجر يسعى

١ ـ هود/ ١٠٥ ـ ١٠٨.

إليـه الفـرد بما أن الـوازع في أفـعـاله الخلقـيـة يفـرض عليـه ذلك، والفـيلسـوف «سنيكا» يقـول : انه «لما كـان الناس اخـوة فـقـد وجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على البر في السراء والضراء وحين البأس، وهو يرى من الواجب اطعـام المسـاكين، وانتـشـال الغـريق وإغـاثة الملهـوف، وهداية الضـال» «١»، لنفس السـبب. و «فـولتـيـر» يصـرخ قائلاً: «ياليت الناس جميعاً يتذكرون انهم اخوة» «٢». أما «أفلاطون» فقد جاهد كثيراً من أجل ايجاد هذا الأصل المشترك في جمهوريته عندما أباح شيوعية النساء بين الحراس ليجعلهم كتلة واحدة من الدم بحيث يصبح كل واحد منهم أباً للجميع وكل امرأة زوجة للكل وكل مولود ابناً لهذا المجتمع كله. والملك الروماني «مرقس اوريليوس» هذا الفيلسوف الرواقي رأى تلك الرابطة متمثلة في «شرف الانتساب إلى عقل واحد» «٣». أما الفيلسـوف العبد «ابكيتيـوس» فقـد وجد الاخاء بين بني الانسان من خلال «الأواصر الوثقى التي تربط بين الله والانسان» «٤».

فقال زلنبور: نعم، نعم، فالرواقيون قالوا بالجامعة الانسانية أو العقل الكوني من أجل ايجاد الأخوة بين البشر، ولكن ما لا تعلمه

---

١ ـ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ الفلسفة الرواقية، ٢ ـ ص ١٧٧ الأخلاق النظرية.

٣ ـ ص ٢٦٩ الفلسفة الرواقية، ٤ ـ ص ٢٥٢ نفسه.

على ما يبدو أن ذلك لم يكن لهم إلا باعتمادهم المحبة التي تقوم - برأيهم - مقام القانون »(١). فهل لك أن توافقهم على ذلك؟ واعلم ان فكرة الأصل المشترك عجزت عن أداء المهام الخلقية المطلوبة منها، وها هو «برجسون» مثلاً يلمّح إلى عجز فلسفة «افلاطون» التي اعتمدت الجوهر الواحد - على حد تعبيره - في إيجاد الأخوة بين البشر عن القضاء «على الرق»(٢). وها هي المنازعات بين الأخوة بل بين الآباء والأبناء، فهل ترونها قد انتهت أو قد انتهت بفعل تلك الفكرة؟!.

نعم ان فكرة الاخوة، وكل رديف لها قادرة على اجتياف العقل، ولكن ليس من المعقول أن ننتصر على العقل باللاعقل! أم انك لا ترى أن الطوطم والعقل الكوني والجامعة الانسانية وقرابة الانسان بالآلهة من الأفكار الميتافيزيقية التي لا تخضع للصدق أو الكذب؟ وهل من الواجب الخلقي أن نخدع الناس من أجل الأخلاق التي نريدها؟ ثم قال مداعباً: وهل هؤلاء الذين قالوا بذلك يزعمون النبوة؟.

فقال الشيخ: لا، انهم ليسوا بأنبياء على الرغم من اتفاقهم بالغرض مع ما يقوله الخبر الوارد في القرآن، ولقد قال عز وجل: «**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها**

---

١ - ص ٢١٦ نفسه. ٢ - ص ٨٥ منبعا الأخلاق والدين

زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء»(١)، فالجميع يعودون بالأصل إلى نفس واحدة تجمعهم إلى الأخوة التي يجب احترامها، فليس لأحد السمو على غيره لا بالطبيعة ولا بغير ذلك، كالأولاد والأموال وشرف النسب لأن القيمة الحقيقية التي يجب أن تميز بينهم هي التقوى التي يؤدي وجودها إلى وجود الفعل الخلقي والعمل الصالح(٢)، وليس هذا ينطبق على الأفراد فحسب بل هذه الشعوب التي ندركها لم تكن بالأصل بما أنهم عن نفس واحدة إلا أمة واحدة « **وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا**» (٣)، لقد اختلفوا متفقين على العداء، وهذا مالا يجب أن يكون وهو مالا يرضاه الله «**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم**» (٤).

ـ الأخلاق وقيمة الانسان:

فقال راوي: حسناً يازلنبور، وليكن الايمان مرفوضاً من منهجنا وتعال لننظر في قيمة الانسان التي من واجبها عقلنة الفعل الخلقي. أم انك لا ترى في ذلك وازعاً يحرك الارادة نحو الخير؟.

فقال زلنبور: نعم، نعم، إن للانسان قيمة «انه في التعامل مع

١ ـ النساء ١، ٢ ـ الحجرات ١٣،

٣ ـ يونس ١٩، البقرة ٢١٣، الانبياء ٩٢، المؤمنون ٥٢، ٤ ـ الحجرات ١٣.

الناس أو بالناس يعد الانسان ذا سعر مثل سائر السلع»[١].

فقال الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فقال زلنبور: ولم التذمر والتأفف؟ أم أن القيمة التي تهتفون إليها مسلمة لكم من قبل الجميع؟ فالماديون على سبيل المثال «يؤكدون أن الانسان بالقياس إلى الكل لا يزيد عن كونه مجرد حفنة من الرماد، أو مجرد ظاهرة عرضية عديمة الأهمية»[٢]. كما يقولون: «ان الفارق بين الانسان والحيوان فارق في الدرجة لا في النوع. فالانسان في نظرهم خاضع خضوعاً تاماً للعمليات العضوية التي ينطوي عليها بناؤه الفسيولوجي، وبالتالي فانه لا يخرج عن كونه مجرد جهاز آلى معقد»[٣]. و «الماركسيون» أصبحو ايتحسسون من تعريف الانسان «بحده كحيوان عاقل أو كحيوان اجتماعي أو كوجود حر»[٤]. و «الوجوديون» يعرفونه بـ «لا شيء»[٥].

فقال راوي: وهل أنت الآخر لا ترى في الانسان قيمة كهؤلاء؟

فقال زلنبور: بالعكس، «فالحياة مصدر كل قيمة»[٦]. وقيمة الانسان مع الآخرين هي قوته، والضعفاء يعبدون الأقوياء دائماً، هذا

---

١ ـ ص ٩٥ الاخلاق عند كنت ٢ ـ ص ٢٧ ـ ٢٨ مشكلة الانسان. ٣ـ ص ١٥٥ ـ ١٥٦ نفسه

٤ـ ص ٧١ الوجود والقيمة، ٥ ـ ص ٦٠ سارتر بين الفلسفة والادب ٦ ـ ص ٢٧ مشكلة الانسان.

ما يشهد به التاريخ، والأنا عليا أو فردية هي معيار القيمة، وإياكم أن تظنوا أن الناس متساوون، وهاهو «كنط» الذي يحارب الأنا يلجأ إليها في ايجاد القيمة الموضوعية للإنسان، فقد قرر هروباً من فكرة السعر جعل قيمة الانسان في كونه غاية في ذاته لأن «كل كائن عاقل آخر - كما يقول - يدرك وجوده على تلك الشاكلة نفسها»[1].. وهو قول صحيح لا غبار عليه، إلا اني لا أرى أن تلك القيمة كائنة لأنه يسن القانون الخلقي ويخضع له فحسب وإنما في اخضاع الآخرين لقيمه التي يقررها. وبذلك تكون القيمة الموضوعية أمام نفسه وأمام الآخرين، وأمام كل شيء، بما أن كل شيء سواه يجب أن يكون وسيلة في حريته.

فقال راوي بعد أن اعتمر اليأس والقنوط في صدره: وما رأيك يا أبا صالح بما تسمع؟

فقال الشيخ: الحقيقة أنا اعتقد أن من يرى نفسه وضيعاً فلا بد أن يكون سلوكه كذلك والعكس صحيح، إلا أن النقاش حول قيمة الانسان أمر شائك وليس بتلك البساطة التي يحبذها الشعار والهتافون، أما الذين قالوا بتفاهته فلا أظنهم حكموا على أنفسهم أو أعماقهم بذلك كما ظن «برجسون» لأن ما قالوه كان بعلة أخرى،

١- ص ٩٩ المبادىء الأساسية لميتافيزياء الأخلاق.

فالماديون مثلاً هروباً من فكرة الألوهية وألوهية الانسان المتمثلة بالمسيح عليه السلام ومن أجل ربطه بالحيوان المتمثل بالقرد الذي هو صلة الوصل بين الطرفين قالوا بالمعقد معياراً لقيمته. والوجوديون الذين رفضوا عقيدة الخطيئة أو الشر المطبوع عليه الانسان قالوا: بأن الانسان وجد جزافاً وعليه فهو لا شيء إلا ما يريد أن يكونه، وهكذا في كل المذاهب الانهزامية، ولكن هل للانسان قيمة إلا من خلال أحكامه هو؟ فلو نظرنا إلى الطبيعة لما رأينا لها ذلك اللسان الفصيح الذي بإمكانه حسم النقاش، واخوان الصفا قالوا بإمكانية القيمة للحيوان من خلال احكامه وقد تكون حسب رأيهم عكس ما نحكم به، أما باستخدام معيار القوة فالانسان اعظم من الحيوان وأقوى منه إلا انه إذا ما سرنا بهذا المعيار حتى نهايته فسوف نجد أن ظواهر الطبيعة والحيوانات أوحتى الجرثوم أقوى منه في كثير من الحالات بما أن ذلك كله قد يكون علة موته وزواله، وهل النصر لغير الأقوياء؟!

إن قيمة الانسان في نهاية الأمر لن تكون من خلال مقارنته بالأشياء على طريقة التسعير ولا من ذاته ولا من الطبيعة ولقد قال «برجسون»: ان «الانسان لا يقاس بثمن من الأثمان» (١)، و هذا يعني

١ ـ ص ٨٠ منبعا الأخلاق والدين .

أن قيمته لا يساويها **العالم كله، وعندها لا مناص لنا من رؤيتها إن** كان لها وجود عند خالق الحيوان والانسان وكل الكون، وفي القرآن القول الفصل، ولنقرأ ما يقوله عز وجل، يقول انه خلق الانسان بيديه من «طين لازب»(١) ونفخ فيه من روحه(٢) وجعله خليفة له على الأرض(٣) وكرَّمه على كثير مما خلق(٤) «وصوركم فأحسن صوركم»(٥) وجعلكم «في أحسن تقويم»(٦). وهل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا»(٧) أي تافهاً لا قيمة له.

وقبل أن يتم كلامه قال زلنبور : ولكن هذا الانسان الذي تقول، هو الذي جعل كل شيء أسمى منه قيمة، فقد عبد الطبيعة وظواهرها، كما عبد الجان والملائكة، وكذلك عبد الملوك وكل ذي قوة حتى الحيوان عبده، ولم لَمْ يتعرف إلى قيمته تلك ؟!

فقال الشيخ : ومازال يعبد الكثير مما ذكرت، وإن اختلفت المعاني والآشكال، ولم يكن له ذلك إلا لجهله بالله مصدر التقييم الصحيح، واعلم ان الله شاء أن يكون وجود الانسان معياراً في تقييم المخلوقات «**وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا**»(٨). إلا ابليس الذى زعم ان القيمة تابعة لسمو الطبيعة إذ «**قال لم أكن لأسجد لبشر**

---

١ ـ الصافات ١١، الروم ٢٠، ٢ ـ السجدة ٩، ٣ ـ البقرة ٣٠، ٤ ـ الاسراء ٧٠، ٥ ـ التغابن ٣، ٦ ـ المعارج ٩، التين ٤، الانفطار ٧ ـ ٨، ٧ ـ الدهر ١، ٨ ـ البقرة ٣٤، الاعراف ١١ الخ،

خلقته من صلصال من حمأ مسنون» (1)، وكيف يسجد الانسان لغير الله إذا كان الله هو القائل : «**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً**» (2)، «**لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن**» (3)، ومن يسجد لهؤلاء فقد حكم على نفسه بالضلال (4). أليس بفضل من الله يكون الانسان أقوى من عفاريت الجن (5)؟

أما بالنسبة للطبيعة فانها ليست مصدراً للتقييم بما أنها مخلوقة لله ومسخرة من أجل الانسان «**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً**» (6)، «**وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره**» (7)، «**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر** ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا» (8)، «أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاماً فهم لها مالكون» (9).

أما من ناحية ارتباط القوة بالقيمة فهو من أسوأ المعايير خاصة إذا كان مستخدماً في تمييز البشر و «فرعون» بحث عن قيمة «موسى» عليه السلام بهذا المعيار حتى قال : «**فلولا ألقي عليه إسورة من ذهب**

---

١ ـ الحجر ٣٣ ، الاسراء ٦١ ، الاعراف ١٢ ، ٢ ـ آل عمران ٨٠

٣ ـ فصلت ٣٧ ، ٤ النمل ٢٤ ـ ٢٥ ٥ النمل ٣٨ ـ ٤٠ ، ٦ ـ الجاثية ١٣ ، لقمان ٢٠

٧ ـ النحل ١٢ ، ٨ ـ الاسراء ٧٠ ، ٩ ـ يس ١٧ ،

أو جاء معه الملائكة مقترنين» (١). والمجانين والمنحطون أو الكفرة هم الذين يقولون أن الفقراء هم السفهاء (٢) وأن أصحاب القوة والأموال هم الشرفاء (٣) نعم لقد كرمنا الله وجعل لنا قيمة عظيمة، أما القيمة التي نحكم بها على أنفسنا أو على غيرنا من البشر فلن تكون إلا بالعمل الصالح وسبحان القائل: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية» (٤) وليسو هم الأغنياء أو الزعماء والأقوياء.

وعليه فان قيمة الانسان في علاقته مع الطبيعة والحيوان هي كعلاقة السيد المالك بالعبد المسخر، أما قيمته بالمقارنة مع غيره من البشر فلا معيار لها إلا الأعمال الصالحة، وعلى هذا فإن القيمة عند الانسان تصنع بالارادة حفاظاً وتصديقاً للقيمة التي كانت له بإرادة الله لا لأنه ذو قيمة من طبيعته لأنه قادر بارادته أيضاً أن يكون أحط الخلق كلهم وقد كان كذلك وما يزال في كثير من أحواله، فليس الأمر إذن في كون القيمة القبل سلوكية وازعاً يدفع الارادة بالضرورة نحو الخير لأن الانسان الحر يختار ما يكون، واختر ياراوي إن كنت حراً مابين القرآن أو زلنبور!.

---

١ ـ الزخرف ٥٣ ٢ ـ البقرة ١٣

٣ ـ البقرة ٢٤٧ ، ٤ ـ البينة ٧

ألوهية المجتمع:

فقال راوي : هوِّن عليك يارجل، فلم يصل بي الأمر إلى هذا الحد من الخيار الضيق الذي تحشرني إليه، ولم تزل السبل التي لم نطأها كثيرة جداً بل وعديدة، ولم العجلة؟ وما رأيكم في استعادة بعض الذي قررناه، أليست الغايات الاخلاقية هي التي تتخذ من الجميع هدفاً لها، والسلوك الأخلاقي هو السلوك الذي يهدف لصالح جماعي» (1). أو الذي «يقصد به صالح الأغيار» (2)؟.

فقال الشيخ : نعم.

فقال راوي : العلاقة إذن تنحصر ما بين المجتمع والفرد، ولم لا نقول «أن الفرد في ذاته ليس بشيء» (3)، كما قال «أوغست كونت»؟ وليس هذا فحسب، بل ويجب أن نستعير فكرة الألوهية من الاديان ونضعها في المجتمع، فالمجتمع هو الإله كما يقول «دوركهايم»، أليس الإله هو الذي يمدنا بالوجود والبقاء؟ وهل للانسان حياة بلا مجتمع يؤمِّن له سبل البقاء؟ ان هذا الاله هو الذي يصرخ داخل الانسان من

١ ـ ص٢٠٩ الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع

٢ ـ ص ١٢١ تاريخ النظريات الأخلاقية .

٣ ـ ص ١٢٠ نفسه.

خلال ضميره ليجعل من أفعاله ولا هدف لها إلا ابتغاء مرضاته وإذا ما تعمّقمت هذه العقيدة عند الجميع منذ نعومة اظفارهم، فعندها نحصل على ايجاد الفعل الخلقي بوازعه الدائم الحضور وتساميه الذي لا نهاية له، وهل هنالك ما هو أعظم من أن يصبح المجتمع غاية الفرد القصوى ودينه المقدس؟ «فالمجتمع هو الكائن الأخلاقي الأعظم الذي عنه تصدر الحياة الأخلاقية»(١)، ولا سبيل سواه.

فقال الشيخ: وهل هذا الاله إلا من جملة الأسماء التي سميتموها؟ والغريب إدراككم لاستحالة قدرة ايجاد الاسم على ايجاد المسمى، فكيف لكم عندها تلك المزاعم.

فقال زلنبور: والأدهى من ذلك افتراضهم بأن الفرد لا شيء، وهل للمجتمع وجود بدون الأفراد؟ أم انكم ستقولون بوجود الشيء من اللاشيء؟ وأنا أرى العكس، فلو ذهب الأفراد كل إلى شأنه أو فرديته لبقي المجتمع مساوياً إلى الصفر، فالفرد كما يقول «ماكس سترنر» «هو كل شيء وأن الجماعة ليست بشيء»(٢). ثم راح يضحك وهو يقول: فإذا ما كانت هذه هي المقدمات لتلك الديانة الواهية،

١ ـ ص٢٧ علم الاجتماع والفلسفة ـ الأخلاق والدين.

٢ ـ ص ١١٩ تاريخ النظريات الأخلاقية.

فكيف لنا بعدها الزعم بأن المجتمع هو مصدر الأخلاق وغايتها؟ فالمجتمع ليس إلهاً ولا حاجة للأخلاق إلى الله خاصة إذا ما تم ربطها بالأنا.

ـ الأخلاق والمدح:

فقال راوي: ولكن إذا ارتبطت الأخلاق بالأنا فهذا ليس من الأخلاق في شيء بما ان الحيوانات بعيدة كل البعد عما تعنيه القيم وعما يعنيه الفعل الأخلاقي. ثم نظر إلى الشيخ وقال: وما رأيك لو استخدمنا المدائح والتشاريف، وها هو «ارسطو» يقول: ان الشرف «بلا جدال هو أعظم جميع الخيرات الخارجية للانسان» (١)، فهو «جزاء الفضيلة» (٢)، أو «هو ثمن الفضيلة» (٣) وبذلك يكون هو الملزم لارادتنا في سلوكها الخلقي. والحياء مثلاً «يمكن حده بأنه ضرب من خوف العار» (٤)، والرجل «السخي والجواد يعطي لأن العطاء جميل» (٥)، أو «ليرضي الشرف» (٦)، «في المجد يبغي الانسان أن يحوز إكرام الناس العقلاء والملأ الذي هو معروف فيه» (٧)، و «الشجاعة الحقة تقتحم الخطر وتحتمله لأن الواجب يقضي باحتماله أو لأنه يكون من المخجل التخلي عنه» (٨)، أو «لارضاء الشرف» (٩)، «فالرجل الذي يمكن أن

---

١ ـ ل٤ ب٣ ف٦، ٢ ـ ل٤ ب٣ ف١١، ٣ ـ ل٨ ب١٤ ف٢، ٤ ـ ل٤ ب٩ ف١، ٥ ـ ل٤ ب١ ف١٢

٦ ـ ل١٤ ب١ ف١٧ نفسه، ٧ ـ ل١ ب٢ ف١٢ نفسه، ٨ ـ ل٣ ب٨ ف١٣، ٩ ـ ل٣ ب٨ ف٦.

يسمى شجاعاً حقاً يبقى **بلا خوف أمام موت جميل**»(١) . «والناس الشجعان حقاً لا يفعلونه إلا بإحساس الشرف»(٢) . أما عن البخلاء فيقول : «فهم لا يبالون البتة بأنواع العار مادام انهم ينالون منه ربحاً»(٣) .

فقال الشيخ : إلا أن الأخلاق التي يكون إلزامها المدائح والألقاب تحصر الفعل الخلقي أمام موزعي الألقاب فقط ، أما في الفرصة حيث ضرورة وجود «شجاعة المنفرد الذي لا يراه أحد»(٤) . فلا إلزام لها قط ، وليس هذا فحسب بل ان هذه الأخلاق تشجع الانسان على استخدام الحيل بغية الظهور أمام الغير مثلاً على انه شجاع بينما هو في الحقيقة جبان ورعديد و «ارسطو» نفسه يقول : «في كثير من ظروف الحرب يتلاشى الخطر أمام أعين الجنود المجربين الذين يعرفون الوقوف على حقيقة الواقع في طرفة عين وغالب أمرهم انهم إذا ظهروا بمظهر الشجعان فذلك لأن غيرهم لا يعرفون بالضبط حقيقة الحال»(٥) كما يقول : انه «في المصارعات ليس أشجع الناس هم الذين يطلبون النزال عن طيب خاطر بل هم الذين يشعرون بأنهم الأكثر قوة والأشد ابداناً»(٦) .

---

١ ـ ل٣ ب٧ ف٩ ، ٢ ـ ل٣ ب٩ ف١١ ، ٣ ـ ل٤ ب١ ف٣٨ ، ٤ ـ ص٣١٧ هكذا تكلم زرادشت

٥ ـ ل٣ ب٩ ف٦ ، ٦ ـ ل٣ ب٩ ف٨

فقال زلنبور: وأي تشاريف تلزم للانسان بعد موته؟ وما نفعها حينئذ؟ وهل المدائح المنطلقة من أفواه الغير تساوي الحياة التي بين جنبي؟ فالشجاع عند العقل هو الذي يضمن تفوقه المؤدي إلى النصر حتماً. ثم قهقه بخبث وأردف قائلاً: واعلم ياراوي انه ليس لك إن رمت التخلص من فكرة العلة أمام المتورطين بأفعال خلقية أو من ذويهم الوقحين إلا الرواقيون الذين قالوا على لسان «سنيكا» بأن الخير جسم لأن له فعلاً، ولأن له في النفس آثاراً، وكل ماله فعل وأثر فهو جسم، الحكمة خير، فالحكمة إذن جسم»[1]، «بل زعموا انها حيوانات»[2]، فعندها يكون الشجاع الميت ميتاً رغماً عنه، رغماً عن ارادته، من هيمنة حيوان الشجاعة الذي لا سلطان له عليه، وعليه فلا حق له أو لذويه المطالبة بأي عوض أو ثمن مهما يكن تافهاً. وانطلق الجميع بعدها يضحكون بحبور وسرور.

فقال راوي: على ذكر «الرواقيين» تذكرت قضية المجمع الانساني عند حديثنا عن الأصل المشترك. وفكرة ربط الأخلاق بالانسانية اعتمدها كثيرون من الفلاسفة، وأظنها ناجعة حقاً، وهل هنالك ما هو أعظم من أن يتسامى الانسان على نفسه وحيوانيته؟ و «كونت» جعل

١ ـ ص ١٥٣ الفلسفة الرواقية، ٢ ـ ص ١٦٠ نفسه.

من الانسانية ديانة «لأنها تدعو إلى تمجيد «الانسانية» ذلك الكائن الأسمى الذي تتحقق فيه معاني الخلود والبقاء والتضحية» [١]، «وهكذا تجيء الأخلاق فتعمل على التسامي بنا نحو مستوى «الكلية الانسانية» أو «الوحدة البشرية الشاملة» [٢].

فقال زلنبور: دعك من الديانة والاله فقد فرغنا من ذلك، واني أرى أن جل ما تريده فكرة الانسانية هو وضع حزمة الحشيش أما الحصان حتى لا يتوانى عن الجري المستمر، إلا أن «برجسون» يرى انه لا نفع في هذه الحيلة، بل بالعكس فقد «يتفق أن ترى نفساً كريمة تتحرق للتفاني في همة صادقة، فإذا عرفت أنها تعمل في سبيل «النوع الانساني» أصابها فتور وبرود، لأن الموضوع واسع، والثمرة مشتتة» [٣]. ولم لا نقول بأن سمو الذات على نفسها على حد تعبير «بدوي» هو «بأن تغزو مواضع جديدة على الدوام وليس في حركتها هذه غير الهجوم المتواصل والاعتداء الدائم على الغير» [٤]؟

فنظر إليه الشيخ شزراً وقال: ولم لا يكون سموك يازلنبور على طريقة «هيدجر» و «سارتر» فتسعى نحو العدم، فربما تصبح هناك شيئاً ذا بال وقيمة؟

---

١ ـ ص٤ علم الاجتماع والفلسفة ، ٢ ـ ص٩٧ دراسات في الفلسفة المعاصرة

٣ ـ ص٤٣ منبعا الأخلاق والدين ، ٤ ـ ص٢٠٠ الزمان الوجودي .

- الغدد والفعل الخلقي :

فقال زلنبور بصلف وغرور : أراكم قد أصبحتم متوتري الأعصاب وضيقي الصدور ، والرأي عندي انكم تسعون نحو المحال ، فالرجل الذي تبحثون عنه لا وجود له بين العقلاء ، فابحثوا عنه إن اردتم الحقيقة بين المرضى والمجانين أو الظروف القاهرة ، ألا ترون من علاقة بين «البدن والذكاء» (١) . ؟ و «لومبروزو» يضرب لكم مثلاً بالمجرم الذي «هو نوع خاص أو نمط خاص للانسان له خصائصه وسماته الجسمانية مثل عدم انتظام الجمجمة وضيق الجبهة وضخامة الفكين» (٢) . بل ولاحَظ « ان جرائم العاطفة تزداد مع ازدياد الحرارة» (٣) . «والدراسات أثبتت أن أورام الغدد الصنوبرية تؤدي إلى النضج الجنسي المبكر» (٤) . فإذا كان ذلك كله ذو علاقة بالسلوك فبالأحرى أن يكون صاحب الفعل الخلقي الذي حددتموه ذو سمات تميزه فتتعرفوا إليه من خلال غدده واعراضه المرضيه وأقرأوا ظروفه علكم تساعدوه في التخلص من محنته ، وها أنتم قد فشلتم في ربط العقل بذلك الانسان ، وهذا ما كنت أعلمه سلفاً لذا نصحتكم مراراً بالتخلص من

---

١ ـ ص ١٢٨ انهيار العقل في مرض الفصام ، ٢ ـ ص ٩٤ علم الاجرام

٣ ـ ص ٩٩ نفسه ، ٤ ـ ص ٦٩ مدخل إلى الأسس النفسة والفسيولوجية

أوهام الأخلاق وليس عليَّ بعد ذلك إلا غسل يداي مما أنتم فيه من هوس وإن شئتم كنتُ لكم هادياً إلى حقيقة الانسان، وإلى ما يجب أن يكون عليه من خلق سليم، وأني لا أرى خلاصكم من الحيرة والقلق إلا إذا اخذتم بما سوف أقوله لكم من الحكمة التي تجمع رجحان ما قلناه كله.

فقال الشيخ: حسناً، وليكن لك ذلك ان استطعت الايجاز.

ـ العقل والإيمان:

وانطلق بعدها زلنبور بصوت كالرعد وهو يقول: إن للأنا حكمة تقول: «ان للأنانية قيمة في ذاتها»(١). «وما ضلال الأنانية إلا ذهابها إلى محبة الغير»(٢). «ليحب الانسان نفسه هذا ما أعلّم به أنا»(٣). والدعوة إلى القناعة رذيلة لا يجترحها إلا رجل غافل أو مخبول»(٤)، وكل واحد «يجب أن يصنع قانونه الأخلاقي»(٥). «لأن الانسان يخلق قيمه في الوقت الذي يخلق في حاجاته»(٦). «فلا عفة في امتناع الرياضي صاحب العضلات أو الفارس المحترف «الجوكي» عن مجامعة النساء»(٧). وعليكم بتحديد النسل «فهو أكبر عملية ثورية في

---

١ ـ ص ٩٥ المشكلة الخلقية، ٢ ـ ص ٢٢٢ هكذا تكلم زرادشت، ٣ ـ ص ٢٢١ نفسه، ٤ ـ ص ١٣٤ ج٢ التصوف الاسلامي في الأدب والاخلاق، ٥ ـ ص ٥٥ سارتر بين الفلسفة والادب، ٦ ـ ص ٥١ الاخلاق والدين، ٧ ـ ص ١٠٩ أصل الاخلاق وفصلها.

تاريخ الاخلاق الجنسية»[١]، لأنها « ستعمل على تكييف سلوكنا الجسني تكييفاً قوياً انها ستمكن من تذوق الاتصال الجنسي غير المشروع لأن تحديد النسل يوفر للفتيان مجالاً للذة غير محددة لا عيب فيها ولا أذى»[٢]، «ولست أعد خيانة عهود الزواج من الناحية الجنسية مخالفة خطيرة» [٣]، واللواطة، انها مثال اللذة الحرة الخالصة، وعلى رأي «ارسطو» إن «الصداقة باللذة هي أزيد شبهاً بالصداقة الصحيحة»[٤]،وحدها يظهر أنها هي التي توحي صداقات الفتيان»[٥]. والصديق يسعى «للذة يبغي تذوقها»[٦]، ولا بأس في «تقاضيهم المقابل»[٧] . أو الأجر ان اقتضى الأمر.

كما أنه يجبُ أن نعلم أن للآخر «أنا» يسعى إلى ايجادها، كما نسعى نحن وربما أكثر ولابد عندها من الصراع بما أن «الأنا لا يمكن أن يكون هو الآخر»[٨]، ومن يعرف اعداءه جيداً فسوف تتاح له الفرصة الكبرى في النصر، وعلينا أن نعلم أن «كل فرد له قدس أقداسه الذي لا يمكن أن تنفذ إليه يد أجنبية»[٩] . «ولكَمْ على الناس من قشور تنم على المسكنة وقد وضح عليها التمويه»[١٠]، إن «الانسان حيوان مفترس. هذا ما سأقوله دائماً»[١١]، انه «غثاء أي الوسخ»[١٢]،

١ ـ ص ٢٨٢ مدخل إلى علم الاخلاق ، ٢ ـ ص ٢٨٦ نفسه ، ٣ ـ ص٢٨٨ نفسه، ٤ ـ ل٨ب٦ف٣
٥ ـ ل٨ ب٣ ف٥ ، ٦ ـ ل٨ ب٣ ف٢ ، ٧ ـ ل٨ ب٨ ف٧ ، ٨ ـ ص٩ مشكلة الحياة ٩ ـ ص١٢٦ اشبنجلر
١٠ ـ ص ٢٢٢ هكذا تكلم زرادشت ، ١١ ـ ص ٢٤٧ اشبنجلر ، ١٢ ـ ص ٦١ فلسفة الاخلاق الاسلامية

فعليكم بالحذر من الآخرين، وتحلوا بالدهاء والخديعة والخبث بما أن نواياكم مجهولة عن ادراكهم «ومن لا يعرف المصانعة يدفع بالناس إلى الثورة عليه فاحذر العري»[1]، «ومن يتقن الخداع، يجد دائماً أولئك الذين هم على استعداد لأن تنطلي عليهم خديعته»[2]. وثقوا بأن «كل ما هو أنا يظل دائماً حداً أقصى يتعذربلوغه»[3]. «فعلى الذكي المتبصر ألاّ يحافظ على وعوده عندما يرى أن هذه المحافظة تؤدي إلى الاضرار بمصالحه»[4]، ومن الضعف التعلق بالطيبة والخير، ومن «الضروري لكل من يرغب في الحفاظ على نفسه أن يتعلم كيف يبتعد عن الطيبة والخير وان يستخدم هذه المعرفة أو لا يستخدمها وفقاً لضرورات الحالات التي يواجهها»[5]، واستفيدوا من كل ذي فضيلة حتى الجبناء انظروا في آرائهم وشاوروهم فهم «يكرمونك في حالة الرخاء، ولا تخشى منهم شيئاً في حالة الشدة والضيق»[6]. ومن الحكمة أن نحارب الناس بما يحبون، فهم يحبون علة نفعهم «وهم إلى جانبك طالما انك تفيدهم»[7]. وكل انسان يحب نفعه أكثر من الآخر، فاقتل خصومك وارض اقربائهم بالمنفعة، وإذا قدر لك أن

---

١ ـ هكذا تكلم زرادشت . ، ٢ ـ ١٤٩ الأمير ، ٣ ـ ص ٦٥ القيمة الاخلاقية ، ٤ ـ ص ١٤٨ الامير .
٥ ـ ص ١٣٦ نفسه ، ٦ ـ ص ١٠٥ نفسه ، ٧ ـ ص ١٤٤ الأمير .

تمنح فليكن عطاؤك نقطة نقطة إثر نقطة، وإذا ضربت فاضرب بكل ما تستيطع من قوة، وعندها لن تجد «من يود أن يسقط»[1]. ومن الحكمة الحفاظ على القوة، وبعض وجوه القوة يأتي من «كسب الأصدقاء والقضاء على الاعداء»[2] . فلا تثقوا بمن هو أقوى منكم، وكونوا أقوياءبين الضعفاء خير من أن تكونوا قوة ضعيفة بين الأقوياء «فلا مساواة بين البشر وهذا ما يهتف به العدل»[3]. «فالعدالة علمتني أن لا مساواة بين الناس وانه من الواجب ألا يتساووا» [4].. وحتى الشعوب لا تتساوى و «ارسطو» في بعض كتبه «يقرر مزاعم معاصريه القائلين بأن ابناء اليونان أعرق جنساً واشرف قيمة ممن ليسوا بيونان»[5]، كما يقول : بأن «مزاج الرجل الحر لا يشبه مزاج العبد»[6]. «فالعبد ليس إلا آلة حية» [7] و «ابن مسكويه» يرى أن «الغدر ليس يوجد إلا في جنس من اجناس العبيد »[8]. والحكيم «نيتشه» يحدد الانسان القوى بذلك الذي له أن «يطرد برفسة من رجله تلك الكلاب الهارشة التعيسة» [9]، أي هؤلاد «المخلوقات ذوي الارادة الأضعف من ارادته»[10] . فاسعوا إلى دمار الآخرين والقضاء

---

١ ـ ص ١٨٩ نفسه، ٢ ـ ص ٩٣ نفسه، ٣ ـ ص ١٥٥ هكذا تكلم زرادشت. ٤ ـ ص ١٢٨ نفسه
٥ ـ ص ٢١٤ الفلسفة الرواقية، ٦ ـ ل٤ ب٨ ف٢، ٧ ـ ل٨ ب١١ ف٥. ٨ ـ ص ١٦٨ تهذيب الاخلاق،
٩ ـ ص ٥٥ـ٥٦ أصل الاخلاق وفصلها. ١٠ ـ ص ٥٥ نفسه.

على قوتهم ولتكن «انظاركم منطلقة تفتش عن عدو لكم» [1] . «انني احب الدماء» [2] .

وعندما ادرك دهشة الجميع واستغرابهم قال : ما بالكم؟ وكأنكم تسمعون شيئاً عجباً، وهل ما قلته بالشيء الجديد، أم لا علم لكم بأن علم الأخلاق نفسه قد أصبح وسيلة؟ «الأخلاق هي أداة» [3] هكذا تقول الماركسية، ليس لشيء بل لتبرير الأغراض السياسية وجعلها «مغزى الحياة» [4] نهاية بالسعادة والشقاء الذي لسان حاله عندهم يقول : «إذا ذهبت إلى اليمين ضيعت رأسك وإذا ذهبت إلى اليسار تصبح سعيداً» [5] .

أما أنتم فاني أراكم تضيعون أنفسكم بذلك الاصرار الذي يبحث عن السراب، فاقذفوا المجنون الذي تظنونه ذا وجود، وخذوا بحكمة الحياة التي فيها نجاتكم، واني لكم لناصح أمين.

فقال راوي وقد احمرت عيناه من الغضب : لا، لن نتخلص من الأخلاق، ويجب ألاّ نرفضها، ورفض العقل وقذفه بعيداً أهون علينا من ذلك بكثير «فمن الواجب أن نرفض فكرة العلية» [6] . وها هو «بوزانكيت» ينادي صراحة : «بأننا يجب أن نستبعد العقل من ميدان

---

١ ـ ص ٧٠ نفسه . ، ٢ ـ ص٢٢٣ نفسه ، ٣ ـ ص١٥٢ علم الاخلاق الماركسي

٤ ـ ص٢٦٣ نفسه ، ٥ ـ ص ١٩٩ نفسه ، ٦ ـ ص١٧٦ مشكلة الحرية .

الأخلاق» [1]. وعندما تساءل «باسكال»: «أتراكما بالعقل تتحابان»[2]؟ أجاب نفسه قائلاً: «كم أود لو أرى هذا العقل المتشامخ قد ذلَّ وتضرَّع» [3]. أما «شوبنهور» فيقول عن الروابط الاجتماعية: ان «ما يقوم منها على العقل يكون مصيره التفكك السريع» [4].

ولو نظرت يازلنبور جيداً في طبيعة الانسان لرأيت «أن ما فيها من عقل عاجز عن خلق الرابطة الاجتماعية أو الاحتفاظ بها» [5]. و«كنط» الذي أطرب الصم بألحانه الهائمة بالأخلاق لم يجد بداً من التمييز بين «الاستعمال النظري والاستعمال العملي للعقل الخالص»[6]. حتى تم له الفصل بين العلم الذي لا قيام له بغير العلة عن الأخلاق، ولكل منهما دائرة خاصة به، والمهم في رأيه «ألا ننظر إلى حقائق العلم بعيني فيلسوف الأخلاق وألا ننظر إلى حقائق الأخلاق بعيني العالم» [7]. وبذلك يكون قد أعطى «ما ليقصر لقيصر وما لله لله» [8]، واني لا أرى في قوله أن العقلين هما واحد إلا من قبيل الاحتفاظ بالزينة التي لامعنى لها، و «برجسون» أرجح رأياً عندي عندما قال: فما هو الزامي محض في الالزام ليس مصدره العقل» [9].

١ ـ ص ٢١٦ بوزانكيت، ٢ ـ ص ٩٧ خواطر، ٣ ـ ص ١٢٧ نفسه، ٤ ـ ص٢٠١ شوبنهور.

٥ ـ ص ٤٩ العلم والدين، ٦ ـ ص٢١ كنط أو الفلسفة النقدية، ٧ ـ ص٢٩ نفسه،

٨ ـ ص ٣٠٢ نفسه، ٩ ـ ص ١٠٢ منبعا الاخلاق والدين.

وإذا ما تخلصنا في نهاية المطاف نهائياً من العقل فإن البدائل لن تكون قليلة فهنالك «الارادة» أو «الشفقة» التي قال بها «شوبنهور»، و «الوجدان» الذي قال به «شلر» و «هوسرل»، أو «القلب» الذي قال به «باسكال» أو «التعاطف» عند «آدم سميث» ولم لا نستخدم «العادة» وسيلة للقفز فوق العقل؟ وما الذي يرمي إليه «ارسطو» بقوله : ان الفضيلة «تتولد على الاخص من العادة والشيم»[1]. «فالفضيلة هي عادة»[2]؟ وماالذي تعنيه «العادة» إن لم تجعل صدور الفعل الخلقي عند الانسان - كما يقول «الغزالي» - «بلا تدبر ولا روية» أي بلا عقل. أم أن الصمم قد سدّ أذنيك واغلق منافذ قلبك عن كل حقيقة يازلنبور الحقير؟.

وعندما تأهب زلنبور لتوجيه لكمه إلى فم راوي الذي ركض بدوره لاستخدام الحذاء وسيلة في انتصار الرأي نهض الشيخ واقفاً وأمسك بهما وهو يقول: ما بالكما تتصرفان كالبلهاء؟ ألم نتفق وبالبرهنة على أن العقل هو كل الانسان؟ فليس هنالك دائرة خاصة للقلب ولا بأخرى للإرادة وهكذا إلى كله. اجلسا، اجلسا، ريثما أقول بضع كلمات وبعدها لكم شأنكم . وبعد أن جلسا على حصيرة

١ - ل٢ ب١ ف١ علم الاخلاق إلى نيقوماخوس.

٢ - ل٢ ب٦ ف١٥ نفسه.

من الدخان الذي يرف فوق النار التي في صدريهما قال الشيخ : اعلما انه ليس من الحكمة أن نطرد الأخلاق من حظيرة العالم الانساني لأن هذا يؤدي إلى دمار المجتمع والقضاء عليه حتماً، كما انه ليس من الحكمة أن نطرد العقل لأن هذا معناه تمزيق الانسان إلى بؤر لا قيمة لها بالأصل . وأنا أقول لكم إن حلقة الاتصال التي لا بد منها لربط العقل بالفعل الخلقي هي الايمان ، والايمان وحده هو الوسيلة الحقة في العقلنة المنشودة، وليست هذه الفكرة بالشيء الجديد لأنها رافقت الانسان منذ وجد نهاية بأحدث إنسان بما أن الحرص على بقاء المجتمع واستمرار وجوده موجود قطعاً. ونظراً لبداهة ما تسمعون فلا أرى لزاماً عليّ الإنطلاق من ايمانيات البدائي الأولى، ولننطلق من المتفلسف أو رجل الفلسفة «وكروسبوس» صرح : « أن علم الأخلاق مستحيل - إلا أن يشتق من زيوس»[1] . و«كنط» يقول : «ان علينا أن نبني الميتافيزقيا على الأخلاق، بدلاً من أن نبني الأخلاق على الميتافيزيقا»[2] . أي أن ما يحتاجه لعقلنة الفعل الخلقي يؤمن به أو بضرورة وجوده «ولهذا يقول : انني قد استطيع القول عن طريق الإيمان الخلقي : انني واثق اخلاقياً من أن ثمة إلهاً ولكنني لن أستطيع

---

١ - ص ص ٨٧ الفلسفة الرواقية ، ٢ - ص ٤٩ كنت أو الفلسفة النقدية .

أن أقول أن الله موجود!»(١). ومن المتوجب على الانسان برأيه «ان يسلم بوجود الله كشرط ضروري لإمكانية الخير الأعلى»(٢). أي أنه لمن الضروري أخلاقياً أن نفترض وجود الله»(٣). وبعد أن وضع يديه على الجرح رأيناه يصرخ وهو يقول: «انني أريد أن يكون هناك إله، وذلك كي يكون وجودي في هذا العالم، أيضاً وجوداً خارج سلسلة العلل الفوزيقية»(٤). وهاهو «وليم جيمس» **«فحينما نسائله لماذا يؤمن بوجود الله؟ نجد انه لا يستطيع أن يعلل ذلك بأدله عقلية أو ببراهين تجريبية، ، بل كل ما يستطيع أن يقوله في الرد على سؤالنا هو قوله: انه لابد أن يوجد لأنني في حاجة ماسة إليه»**(٥). بل ويقول: **«أتريد أن ترفض معونة الدين الذي يمكن أن يأخذ بيد البؤساء بحجة أن الشفاء بواسطة الدين مناف للقواعد»**(٦). و«سبنسر» هو الآخر «أجاز طول حياته مشروعية اعتقادات معينة، حتى لو قامت قبل كل شيء على العاطفة، باعتبار أن هذه الاعتقادات لها من الخصائص الأخلاقية والعملية أكثر مما لها من الخصائص اللاهوتية، وكان يتحدث دائماً باحترام عميق عن الاعتقاد في الخلود والثواب والآخرة

١ـ ص ١٦٧ نفسه ، ٢ـ ص ٢١٣ نقد العقل العملي ، ٣ـ ص ٢١٥ نفسه

٤ـ ص ٢٤٢ نفسه .

٥ـ ص ٥٢ دراسات في الفلسفة المعاصرة ، ٦ـ ص ٢٥٦ العلم والدين في الفلسفة المعاصرة . .

، وفي ذلك يقول : من الحقائق التي ينبغي أن نذكرها دائماً اننا في هذا العالم معرضون لكثير من الشرور ، وإن الايمان بالعوض عنها في عالم أفضل يجعل الناس يستسلمون لبعض المحن التي لن يقووا على احتمالها لو ردت إلى معارف وضعية» (١). أم انك نسيت ياراوي تأليه المجتمع عند «دوركهايم» وتأليه الانسانية عند «كونت»؟ وهل يعقل ألا تعرف لم قالا بذلك!

أما الآن فاسمع يازلنبور ايمانيات «نيتشه» الذي افتخر به كثيراً، هذا القائل : «ليس الايمان مما يرضيني» (٢) ولكنه هل بقي على الاستقامة مع قوله هذا؟ بالعكس فقد قال : «ان الله افتراض وأنا أريد ألا يذهب بكم الافترض إلى أبعد مما تفترض ارادتكم المبدعة - فليس لكم إلا ايجاد الانسان المتفوق» (٣). فالافتراضات الايمانية التي يريدها إذن مشروطة بوجود إرادة القوة التي تنقصة. ولو قرأنا ايمانياته التي قال بها لما كان لنا قدرة تستطيع تمييزها عن هذيان المجانين. يقول : «انظر إلى هذه العنكبة التي تدب على مهل تحت شعاع القمر! انظر إلى شعاع القمر نفسه وإلى ذاتي وذاتك مجتمعين تحت هذا الباب تتهامسان باسرار الأبد! أفما تعتقد انه لابد أن نكون وقفنا جميعاً من

١ - ص ٨٨-٨٩ نفسه ، ٢ - ص ١٥٦ هكذا تكلم زرادشت .

٣ - ص ١١١ نفسه .

قبل في هذا المكان» [١]. بلى أن «جميع الأشياء تعود أبداً ونحن معها عائدون وبأننا وجدنا من قبل مراراً لا عداد لها ومعنا جميع الأشيا أيضاً» [٢]. أم انه لا علم لك يازلنبور بما قاله عن السنة العظمى؟.

فقال زلنبور : نعم

فقال الشيخ بعد أن ضحك طويلاً : أليس هو القائل بعد تلك الايمانيات المجنونة «احذر أن يتسلَّط عليك ايمان جديد» [٣].

فقال زلنبور و «ماذا لو تبين أن الله نفسه كذبتنا» [٤] ألا يجب أن نرفض هذا الافتراض عندها لأنه «إذا تصورنا الله على انه من خلقنا فلن تكون له أية أهمية عملية على الاطلاق لأنه عندها لن يكون حتى ولا مجرد فرض ملائم» [٥]..

فقال الشيخ : نعم، نعم. ولكن أرجو ألا تكون قد نسيت ما قلناه عن ضرورة ربط الأخلاق بما نعرفه من إرادة الله إذا قلنا بوجوده؟ ويجب أن تعلم أن ما قال به القرآن من خلقيات ليست لزيد أو عمرو تبعاً لحاجة هذا أو ذاك وانما لكل البشرية وهذا أعظم برهان على انها من الله العليم الذي خلق الكل وإلا لكانت عاجزة عن الشمول كعجز هذه الفلسفات التي لا تلائم الا أصحابها فقط.

---

١ ـ ص ١٨٤ نفسه ، ٢ ـ ص ٢٥٣ نفسه ، ٣ ـ ص ٣٠٥ نفسه ،

٤ ـ ص ١٤٧ أصل الاخلاق وفصلها ، ٥ ـ ص ٥٩ دراسات في الفلسفة المعاصرة

واعلم أيضاً انه إذا ما ارتبطت الأخلاق بالله من خلال الفرض فإن الله عندها ليس إلا خديعة تتوارى خلفها كل الأغراض أما عن العقل فإنه لن يكون موجوداً بالفعل إلا بمعرفة ما يريده الله منا وإلا فإنه «إما أن يبقى - الإنسان متحيراً لا يفعل شيئاً وإما أن يلجأ إلى كل ضرب من ضروب التخيل والاعتساف»(١)، والفيلسوف الرواقي «كليانتس» - مثلاً - يئن ويشكو قائلاً عن أصحاب الافتراض : «انهم يرغبون في الخير دائماً ولكنهم لا يعرفون سنة الله التي لو اتبعوها لأصابوا في الحياة حكمة وشرفاً» (٢)، ومن ذلك الجهل بقي إله ارسطو الذي آمن بوجوده بعيداً عن المعنى الخلقي بعد المشرق عن المغرب في كل كتابه الضخم الذي أراده منارة لولده «نيقوماخوس».

ثم نظر الشيخ إلي وقال : وما رأيك بالأمر؟

فقلت : لقد قال «ديستوفسكي ذات مرة : إذا كان الله لا يوجد فسيكون كل شيء مباحاً» (٣). ولكني حريص على الأخلاق رغم شعوري بشعور «نيتشه» القائل : « لقد بلغت الأهداف الألف عداً إذ

---

١ - ص ٣١ دستور الاخلاق في القرآن ، ٢ - ص ٦٤ الفلسفة الرواقية ،

٣ - ص ٤٩ سارتر بين الفلسفة والادب .

بلغ عدد الشعوب ألفاً فنحن بحاجة إلى قيد واحد لألف عنق لأننا بحاجة إلى هدف واحد» (١). وهل أسمى من خلق يرتبط بكتاب واحد؟ وهل هناك ما هو «انفع للجميع من أن يحكمهم كائن إلهي حكيم ـ كما يقول افلاطون ـ حتى نخضع جميعاً لحكم واحد، فنغدوا متوافقين متحابين قدر الامكان» (٢). وشيئان قد أصبحا يملآني اعجاباً: السماء المرصعة بالنجوم، والقرآن الذي يهدي للتي هي أقوم.

فقال الشيخ وهو ينظر إلى راوي: أما آن لك ياراوي أن تنتصر للحق؟ أم ما زال عقلك بعيداً عما يعنيه الأقوم؟

فقال راوي بعد أن فكر ملياً: الحقيقة اني لم استطع بعد استيعاب مجمل ما ترمي إليه لأني كنت مشغولاً بدوامة الهجوم والدفاع، وكل ما أرجوه إن أردت مني الحكم الصحيح أن تعيد على مسامعي الأفكار الرئيسية التي استترت لديك وراء النقاش والجدال عليّ أصل إلى الخروج من تلك الجزئيات التي شتت أفكاري.

١ ـ ص ٨٤ ـ ٨٥ هكذا تكلم زرادشت

٢ ـ ص ٥٤٤ الجمهورية

ـ خاتمة:

فقال الشيخ : حسناً ، وسوف اعيد ذكر ما أراه دافعاً لكل شبهة : أما بالنسبة للعقل فهو آلة البقاء ، ومن مميزاته ارتباط افعاله بالعلة والمنفعة والأنفع . أما مهمة علم الأخلاق : فهي الحفاظ على القانون أو المجتمع ومن أجل ذلك كان ايجاد الفعل الخلقي ، ومن أجل الحفاظ على الفعل الخلقي كان ايجاد الايمان ، وقد اجتمع ذلك كله في القرآن ودونما تمييز تحت ما يسمى بالعمل الصالح ، وتلك هي عقلنة الأخلاق التامة . أمابالنسبة للنسبية فاني ارى أن ارتباط الفعل الخلقي بمصدر موضوعي يشار إليه هو انتزاع لكل ما تعنيه النسبية ولولا ذلك لما كان لدينا «معروف» و «منكر» يعرفه الجميع ، ولما كان لدينا ضمير مشترك يحتكم إليه الكل ويحكمهم . وهل بحثت ياراوي عن غير السبل التي تحفظ المجتمع قوياً على الدوام؟ .

فقال راوي بعد أن اعتلى عينيه شفق أحمر : الحقيقة أقول ، وعلى صحتها أشهد ، ان ايجاد العمل الصالح هو جوهر الدين الاسلامي وهدفه ، وكل شيء في هذا الدين قد تم تكريسه لهذا الهدف ، واني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ثم نظر الشيخ إلى زلنبور ، وقبل أن يبدأ بالكلام بادره زلنبور قائلاً : وأنا أيضاً على استعداد لاعلان اسلامي ، ولكن إذا ما تحقق

الشرط الذي يستطيع أن يقتل في قلبي أي نفاق محتمل وشرطي الذي لن اتراجع عنه: هو اعطائي حرية التصرف في حرف أو حرفين من حروف القرآن، كاستبدال الصاد بالسين، وعندها سأبني لك المساجد عل كل جبل ومرتفع، على كل رابية وأكمة حتى يظهر الحق عياناً ولو من بعيد.

فقال الشيخ: خسئت ياعدو الله، فلن يكون لك زرع «الأنا» كيفما شئت. ثم تفل في وجهه بغضب، وعندما ولى زلنبور ركضت وراءه بسكين كنت أحملها علي استطيع قتله، فناداني الشيخ قائلاً: ليس بالسكين يقتل الشيطان، وانما بالعمل الصالح وحده يكون موته الأكيد، دعه فقد أدبر ليحكم على نفسه.

تم بعون الله في

١٩٨٩/١١/٢٥

«المراجع»

١ ـ **القرآن الكريم**

٢ ـ **الكتاب المقدس**.

٣ ـ **أصل الأخلاق وفصلها** : تأليف فردريك نيتشه . تعريب حسن بتيسي، طبعة أولى ١٩٨١ .

٤ ـ **أدب الدنيا والدين** : تأليف الماوردي. تحقيق مصطفى السقا، طبعة ثانية ١٩٥٥ .

٥ ـ **اشبنجلر** : تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي ١٩٨٢ .

٦ ـ **اسبينوزا** : تأليف الدكتور فؤاد زكريا ، طبعة ثانية ١٩٨١ .

٧ ـ **أشعار اللصوص وأخبارهم**: جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي منشورات دار اسامة .

٨ ـ **اعترافات القديس اغوسطينوس** : نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو ١٩٦٢ .

٩ ـ **آراء أهل المدينة الفاضلة** : تأليف ابو النصر الفارابي، تحقيق الدكتور البير نصري نادر . طبعة ثالثة .

١٠ ـ **انهيار العقل في مرض الفصام** : تأليف الدكتور عزت سيد اسماعيل، طبعة أولى ١٩٨٤ .

١١ - **ابن سبعين وفلسفته الصوفية** : تأليف الدكتور أبو الوفا التفتنازي .

١٢ - **التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق** : تأليف الدكتور زكي مبارك - دار الجيل .

١٣ - **الأخلاق عند كنت** : تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي ١٩٧٩ وكالة المطبوعات ، الكويت .

١٤ - **الأخلاق الاسلامية** : تأليف محمد الشيرازي ، اصدار مكتبة نيغرى الحديثة .

١٥ - **الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع** : تأليف الدكتور محمد بدوي ١٩٨٠ .

١٦ - **المذاهب الأخلاقية الكبرى** : تأليف فرانسوا غريغوار ترجمة قتيبة المعروفي ، طبعة أولى ١٩٧٠ .

١٧ - **الأمير** : تأليف نيقولو ميكافيلي : ترجمة فاروق سعد طبعة سابعة ١٩٧٥ .

١٨ - **المنهج العلمي وتفير السلوك** : تأليف محمد عماد الدين اسماعيل ١٩٧٨ .

١٩ - **الوجود والقيمة** : تأليف سامي خرطبيل طبعة أولى ١٩٨٠ .

٢٠ ـ **الموت والعبقرية** : تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي ١٩٤٥ .

٢١ ـ **القيمة الأخلاقية** : تأليف الدكتور عادل العوا ١٩٦٥ .

٢٢ ـ **العلم والدين في الفلسفة المعاصرة** : تأليف اميلبوترو ترجمة الدكتور احمد فؤاد الأهواني .

٢٣ ـ **الفلسفة الرواقية** : تأليف الدكتور عثمان أمين طبعة ثالثة ١٩٧١ .

٢٤ ـ **الأخلاق النظرية** : تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي طبعة أولى ١٩٧٥ .

٢٥ ـ **العقيدة والأخلاق واثرهما في الفرد** : تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ، طبعة رابعة ١٩٧٣ .

٢٦ ـ **المبادىء الأساسية لميتافيزياء الأخلاق** : تأليف عمانونيل كنت نقله إلى العربية حكمة الحمصي ١٩٦١ .

٢٧ ـ **الارادة** : تأليف مصطفى غالب طبعة رابعة ١٩٨٢ .

٢٨ ـ **المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية** : تأليف محمد عمارة، طبعة أولى ١٩٧٢ .

٢٩ ـ **الأخلاق والدين** : تأليف الدكتور روجيه غارودي، ترجمة نزيه الحكيم ـ دار الوثبة .

٣٠ - **الفكر الفلسفي الهندي** : تأليف الدكتور سرفبالي راداكرشنا، ترجمة ندرة اليازجي ١٩٦٧ .

٣١ - **المشكلة الخلقية** : تأليف الدكتور زكريا ابراهيم، طبعة أولى ١٩٦٩ .

٣٢ - **الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الاسلام** : تأليف الدكتور ناجي التكريتي طبعة ثانية ١٩٨٢ .

٣٣ - **الفليفس** : تأليف أفلاطون، تعريب الأب فؤاد جرجي بربارة ١٩٧٠ .

٣٤ - **المذاهب الأخلاقية في الاسلام «الواجب - السعادة»** : تأليف الدكتور عبد الحي محمد قابيل ١٩٨٤ .

٣٥ - **الفلسفة الأخلاقية في الفكر الاسلامي «العقليون والذوقيون أو النظر والعمل»** : تأليف الدكتور أحمد محمد صبحي دار المعارف بمصر طبعة ثالثة ١٩٦٩ .

٣٦ - **الافلاطونية المحدثة عند العرب** : تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي طبعة ثانية .

٣٧ - **الزمان الوجودي** : تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي طبعة ثالثة .

٣٨ ـ **بوزانكيت قمة المثالية في انكلترا** : تأليف الدكتور علي عبد المعطي محمد ١٩٧٣ .

٣٩ ـ **بد العارف** : تأليف ابن سبعين، تحقيق الدكتور جورج كتورة .

٤٠ ـ **تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق** : تأليف ابن مسكويه، تقديم الشيخ حسن، طبعة ثانية ١٧٩٨ .

٤١ ـ **تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية** : تأليف الأستاذ ابو بكر ذكرى، طبعة رابعة ١٩٦٥ .

٤٢ ـ **جمهورية افلاطون** : ترجمة الدكتور فؤاد زكريا ١٩٧٤ .

٤٣ ـ **حياة بوذا** : تأليف أر ماردينان هارولد، تعريب فيليب عطا الله ١٩٧٥ .

٤٤ ـ **خلق المؤمن** : تأليف الشيخ عبد الأمير قبلان، طبعة ثانية ١٩٨١ .

٤٥ ـ **خواطر** : تأليف بليز بسكال، ترجمة ادوار البستاني ١٩٧٢ .

٤٦ ـ **دستور الاخلاق في القرآن** : تأليف الدكتور محمد عبد الله درز، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهسن طبعة ثالثة ١٩٨٠ .

٤٧ ـ **ديموقريطس** : تأليف الدكتور على سامي النشار طبعة أولى

. ١٩٧٢

٤٨ ـ **دراسات في الفلسفة المعاصرة «الجزء الأول»**: تأليف الدكتور زكريا ابراهيم، طبعة أولى ١٩٦٨

٤٩ ـ **دراسة الكتب المقدسة** : تأليف موريس بوكاي، دار المعارف طبعة رابعة ١٩٧٧.

٥٠ ـ **سارتر بين الفلسفة والأدب** : تأليف موريس كرانستون ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد.

٥١ ـ **سيرة ابن هشام** : حققها مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، مؤسسة علوم القرآن.

٥٢ ـ **شوبنهاور** : تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي نشر وكالة المطبوعات.

٥٣ ـ **صحيح البخاري**.

٥٤ ـ **علم الأخلاق إلى نيقوماخوس** : تأليف ارسطوطاليس نقلة إلى العربية احمد لطفي السيد ١٩٢٤.

٥٥ ـ **علم الاجتماع والفلسفة «الأخلاق والدين»** : تأليف الدكتور قباري محمد اسماعيل، طبعة أولى ١٩٦٧.

٥٦ ـ **علم الأخلاق الماركسي** : تأليف مجموعة من الأساتذة

السوفييت، ترجمة الدكتور ابراهيم قندور ١٩٨٣ .

٥٧ ـ **فلسفة نيتشه** : تأليف أويغن فنك، ترجمة الياس بدوي ١٩٧٤ .

٥٨ ـ **فلسفة ديكارت ومنهجه** : تأليف الدكتور مهدي فضل الله طبعة أولى ١٩٨٣ .

٥٩ ـ **فلسفة الأخلاق الاسلامية**: تأليف ابراهيم الموسي الزنجاني طبعة أولى ١٩٨٢ .

٦٠ ـ **كتاب الأخلاق**: تأليف احمد أمين، طبعة ثالثة ١٩٢٥ .

٦١ ـ **كانت أو الفلسفة النقدية** : تأليف الدكتور زكريا ابراهيم طبعة ثانية ١٩٧٢،

٦٢ ـ **مقدمة في علم الاجرام والسلوك الاجتماعي**: تأليف الدكتور ابراهيم زيد ١٩٧٨ .

٦٣ ـ **موسوعة أخلاق القرآن** : تأليف الدكتور احمد الشرباصي طبعة أولى ١٩٨١ .

٦٤ ـ **مدخل إلى الأسس النفسية والفسيولوجية للسلوك**: تأليف الدكتور عباس محمود عوض ١٩٨٠ .

٦٥ ـ **مذاهب الاسلاميين ـ الجز الأول** : تأليف الدكتور عبد

الرحمن بدوي، طبعة أولى ١٩٧١ .

٦٦ـ **منبعا الأخلاق والدين** : تأليف هنري برجسون ترجمة الدكتور سامي الدروبي والدكتور عبد الله عبد الدايم ١٩٧١ .

٦٧ـ **مشكلة الحرية** : تأليف الدكتور زكريا ابراهيم طبعة ثالثة ١٩٧٢ .

٦٨ـ **مشكلة الانسان** : تأليف الدكتور زكريا ابراهيم

٦٩ـ **مشكلة الحياة** : تأليف الدكتور زكريا ابراهيم طبعة أولى ١٩٧١ .

٧٠ـ ***مبادىء الفلسفة «مشكلة العمل»*** : تأليف تيسير شيخ الأرض ١٩٨٤ .

٧١ـ **مدخل إلى علم الأخلاق** : تأليف ولتر لبمان ترجمة انعام المفتي ١٩٦٧ .

٧٢ـ **ما فوق مبدأ اللذة** : تأليف سيمجموند فرويد، ترجمة الدكتور اسحق رمزي طبعة ثانية ١٩٦٦ .

٧٣ـ **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية** : تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا .

٧٤ـ **نقد العقل العملي** : تأليف عمانوئيل كنت، ترجمة أحمد

الشيباني ١٩٦٦ .

٧٥ ـ **هكذا تكلم زرادشت** : تأليف فريدريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس ، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت ١٩٣٨ .

٧٦ ـ **رابعة العدوية شهيدة العشق الالهي** : تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي، طبعة رابعة ١٩٧٨ .

ـ الفهرس ـ

صدر للمؤلف

١- المنقذ من الضلال.

كتب أخرى للمؤلف . .

١- العقل والالحاد.
٢- العقل بين الفلسفة والقرآن.
٣- القرآن ومنهج التأويل «دراسة في فكر الدكتور **محمد** شحرور».
٤- نظرة في أسس جدلية الحرف.

دراسات صوفية للمؤلف . .

١- التكاليف في الفكر الصوفي.
٢- المعرفة الصوفية بين التقية والأسرار.
٣- المعرفة الصوفية بين الخطأ والشيطان.
٤- المنهج المعرفي في التصوف.
٥- الولاية والنبوة في التصوف.
٦- نتائج التوحيد الصوفي.

٧- التصوف وتوحيد لا إله إلا الله.
٨- وحدة العقائد وتوحيد لا معبود إلا الله في الفكر الصوفي.
٩- من الرياضات حتى وحدة الوجود في التصوف.
١٠- منهج الصراع في التصوف.
١١- الجنة والنار في الفكر الصوفي.
١٢- السحر والتصوف.
١٣- سمات الظاهرة الصوفية.
١٤- التصوف بين الحرب والغلمان.
١٥- الفضائل الإسلامية في الفكر الصوفي.
١٦- التوكل وفلسفة التسول في التصوف.
١٧- القرآن في الفكر الصوفي.
١٨- التصوف بين التعريف والمنهج.
١٩- السنة النبوية والحقيقة المحمدية في التصوف.
٢٠- الشيخ والمريد وصراع الأولياء في التصوف.
٢١- الكرامة في الفكر الصوفي.

* * *